



جامعة السودان المفتوحة
Open University of Sudan

مجلة القلزم

لدراسات التوثيقية



ISSN: 1858 - 9790

علمية دورية دولية محكمة تصدر بالشراكة مع جامعة السودان المفتوحة - السودان

في هذا العدد :

■ تاريخ منطقة-----مق---رن النيلين في الخرطوم.

أ.د. عبدالرحيم محمد خبير - أ.د. حاتم الصديق محمد أحمد

■ مدينة عطبرة- محطات وشذرات

أ.د. عصام إدريس كمتور الحسن

■ تاريخ مدينة بورتسودان

د. بدوي الطاهر أحمد البدوي

■ لمحات من تاريخ القصارف (1504 -- 1885 م)

د. قسم السيد حمزة احمد برير

■ مدينة كسلا (1840 - 1940م)

أ.حسن أوشيك أوهاج إدريس



العدد السادس عشر - جمادي الأول 1444 هـ - ديسمبر 2022م

مجلة القلزم للدراسات التوثيقية علمية دورية دولية محكمة - العدد السادس عشر - جمادي الأول 1444 هـ - ديسمبر 2022م

ISSN: 1858 -9790

ردمك



دار آريثريا للنشر والتوزيع
Arriyria for Publishing and Distribution

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان
مجلة القلزم: Al QulzumScientific DocumentaryJournal
الخرطوم : مركز دول حوض البحر الأحمر 2022
تصدر عن دار آريثيريا للنشر والتوزيع السودان
ردمك:1858-9790 الخرطوم- السودان

مجلة القلزم للدراسات الوثائقية

الهيئة العلمية والاستشارية

- أ.د. بركات موسى الحواقي - جامعة بحري - السودان .
أ.د. عز الدين عمر موسى - مركز العز بن عبد السلام - السودان.
أ.د. دلال بنت محمد سليمان السعيد - جامعة جدة - المملكة العربية السعودية.
أ.د. كمال محمد جاه الله الخضر - جامعة إفريقيا العالمية - السودان.
أ.د. إيمان على مهران عثمان - المعهد العالي للفنون الشعبية - جمهورية مصر العربية.
أ.د. محمد أبو محمد إمام - السودان
د. صديق عمر الصديق - جامعة الخرطوم - السودان.
د. عبد الباقي يونس إسماعيل - جامعة النيلين - السودان .
د. أبو القاسم السنوسي قنه محمد - مركز دراسات الصحراء - ليبيا.
د. فتح العليم عبد الله محمد - جامعة أم درمان الأهلية - السودان.
د. محمد الفاتح أحمد - جامعة براندنبورج - ألمانيا.
د. عفاف عبد الحافظ عبد الحفيظ محمد رحمه - جامعة الخرطوم - السودان.
د. نزار محمد غانم - جامعة الأحفاد للبنات - اليمن.
د. هالة أبازيد بسطان - جامعة أم درمان الأهلية - السودان.
د. جعفر على فضل إبراهيم - جامعة نيالا - السودان.
د. سليمان محمد سليمان - مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان.
د. محمد أحمد محمد عبدالعزيز - جامعة الفاشر - السودان .
د. صلاح محمد إبراهيم أحمد - جامعة النيل الأبيض - السودان.
د. إبراهيم عبد اللطيف عبد المطلب - جامعة كسلا - السودان.
د. لمياء دفع الله مصطفى - مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان
د. الصادق آدم عمر - السودان
د. عبد العزيز جابر محمد - السودان

المشرف العام

أ.د. عبد الخالق فضل رحمة الله
مدير جامعة السودان المفتوحة

رئيس هيئة التحرير

أ.د. حاتم الصديق محمد أحمد

رئيس التحرير

أ. عوض أحمد حسين شبا

سكرتير التحرير

أ. خالد بابكر محمد إبراهيم

التدقيق اللغوي

أ. الفاتح يحيى محمد عبد القادر (السودان)

الإشراف الإلكتروني

د. محمد المأمون

التصميم والإخراج الفني

أ. عادل محمد عبد القادر (السودان)

الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة تحمل وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن آراء المركز

ترسل الأوراق العلمية عبر العنوان التالي

هاتف: +249121566207 - +249910785855

بريد إلكتروني : rsbcsc@gmail.com

السودان - الخرطوم - السوق العربي عمارة جي تاون الطابق الثالث

موجهات النشر

تعريف المجلة:

مجلة (الْقُلْزَم) للدراسات التوثيقية مجلة علمية دولية محكمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر- السودان بالشراكة مع جامعة السودان المفتوحة- السودان. تهتم المجلة بالبحوث والدراسات التوثيقية والمواضيع ذات الصلة.

موجهات المجلة:

1. يجب أن يتسم البحث بالجودة والأصالة وألا يكون قد سبق نشره قبل ذلك.
 2. على الباحث أن يقدم بحثه من نسختين. وأن يكون بخط (Traditional Arabic) بحجم 14 على أن تكون الجداول مرقمة وفي نهاية البحث وقبل المراجع على أن يشارك إلى رقم الجدول بين قوسين دائريين (.)
 3. يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً وبالأرقام العربية بما في ذلك الجداول والأشكال التي تلحق بالبحث.
 4. المصادر والمراجع الحديثة يستخدم أسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.
 5. المصادر الأجنبية يستخدم اسم العائلة (Hill, R).
 6. يجب ألا يزيد البحث عن 30 صفحة وبالإمكان كتابته باللغة العربية أو الإنجليزية.
 7. يجب أن يكون هناك مستخلص لكل بحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد على 200 كلمة بالنسبة للغة الإنجليزية. أما بالنسبة للغة العربية فيجب أن يكون المستخلص وافياً للبحث بما في ذلك طريقة البحث والنتائج والاستنتاجات مما يساعد القارئ العربي على استيعاب موضوع البحث وبما لا يزيد عن 300 كلمة.
 8. لا تلزم هيئة تحرير المجلة بإعادة الأوراق التي لم يتم قبولها للنشر.
 9. على الباحث إرفاق عنوانه كاملاً مع الورقة المقدمة (الاسم رباعي، مكان العمل، الهاتف البريد الإلكتروني).
- نأمل قراءة شروط النشر قبل الشروع في إعداد الورقة العلمية.



كلمة التحرير

نحمد الله تعالى حمدا طيبا مباركا فيه، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد

القارئ الكريم:

فى إطار خطة مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر- السودان فى تفعيل وتنشيط البحث والنشر العلمى، وذلك بتسهيل وتوسيع مواعين النشر الرصين، رأّت وحدة البحوث والنشر بالمركز بعد التشاور مع الهيئتين العلمىة والاستشارىة إصدار مجلة علمىة جديدة تضاف لسلسلة مجلات القلم العلمىة الدولىة المحكّمة المتخصصة، تعنى بالتوثيق للاماكن والشخصيات فى مختلف المجالات العلمىة، الاجتماعىة والدينىة والاقتصادىة، السياسىة، الفنّىة، والرياضىة وغيرها، فى السودان ودول حوض البحر الأحمر والعالم؛ وكذلك التوثيق للمؤسسات البارزة التى أسهمت فى الحياة الاجتماعىة والثقافىة والاقتصادىة الخ...

تعتبر مجلة القلم العلمىة للدراسات التوثيقىة التى تصدر بالشراكة مع جامعة السودان المفتوحة - السودان من المجالات المتخصصة المتفردة، ولعلها الأولى فى السودان والوطن العربى، التى اهتمت بهذا الجانب، وانتهجت فى طرىقة تحريرها نهجاً جديداً يعتمد على تكوين مجموعات بحثىة ذات صلة ومعرفىة بموضوع العدد، تحت إشراف أحد العلماء فى المجال المعنى.

القارئ الكريم:

هذا العدد هو السادس عشر من مجلة القلم العلمىة للدراسات التوثيقىة يخرج إليكم فى ثوب قشيب تحت إشراف أ.د حاتم الصديق محمد أحمد للتوثيق لبعض المدن السودانىة، وبإذن الله تعالى سوف تتوالى الأعداد التوثيقىة لتسهم فى التعريف بالمعالم والرموز والشخصيات داخل السودان وخارجه والتوثيق لها بصورة علمىة رصينة.

نسأل الله تعالى التوفيق والسداد للجميع؛؛؛

هىئة التحرير



مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر

(لحو شراكة إقليمية مستقبلية ومستدامة)

شراكة إقليمية مستقبلية واعدة

مجلات القلزم

مجلات القلزم مجموعة مجلات علمية دولية محكمة ذات ترقيم دولي

تصدر عن . مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر – السودان

بالشراكة مع عدد من الجامعات والكليات والمراكز البحثية داخل السودان وخارجه وهي



مجلة القلزم العلمية الشاملة
تصدر بالشراكة مع كلية الهندس للعلوم - السودان



1



مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية
تصدر بالشراكة مع الإتحاد الدولي للمؤرخين - الدمام



2



مجلة القلزم للدراسات البيئية والجغرافية
تصدر بالشراكة مع جامعة سار - السودان



3



مجلة القلزم للدراسات السياسية والقانونية
تصدر بالشراكة مع جامعة البليدة - الجزائر



4



مجلة القلزم للدراسات الأمنية والاستراتيجية
تصدر بالشراكة مع جامعة سليمان الدولية - تركيا



5



مجلة القلزم التربوية واللغوية والنفسية
تصدر بالشراكة مع جامعة بخت الرضا - السودان



6



مجلة القلزم للدراسات الإعلامية
تصدر بالشراكة مع أم درمان الأهلية - السودان



7



مجلة القلزم للدراسات الإسلامية
تصدر بالشراكة مع جامعة كسلا - السودان



8



مجلة القلزم للدراسات الأثرية والسياحية
تصدر بالشراكة مع جامعة شحني - السودان



9



مجلة القلزم للدراسات الاقتصادية والاجتماعية
تصدر بالشراكة مع جامعة الحضارة - اليمن



10



مجلة القلزم العلمية للدراسات التوثيقية
تصدر بالشراكة مع دار أوثيوبيا - السودان



11

المحتويات

تاريخ منطقة مقـرن النيلين في الخرطوم.....(22-9)

أ.د عبدالرحيم محمد خير- أ.د.حاتم الصديق محمد أحمد

تاريخ مدينة بورتسودان.....(38-23)

د. بدوي الطاهر أحمد البدوي

مدينة عطبرة- محطات وشذرات.....(54-39)

أ.د عصام إدريس كمتور الحسن

مدينة كسلا (1840 – 1940م).....(64-55)

أ.حسن أوشيك أوهاج إدريس

ملحات من تاريخ القصارف (1504 – 1885 م).....(72-65)

د. قسم السيد حمزة احمد بريير



دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

تاريخ منطقة مقرن النيلين في الخرطوم

قسم الآثار - كلية العلوم الإنسانية

جامعة بحري

قسم التاريخ - كلية التربية

جامعة الزعيم الأزهرى

أ.د. عبدالرحيم محمد خير

أ.د. حاتم الصديق محمد أحمد

مستخلص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة منطقة مقرن النيلين في الخرطوم، و تتبع تطورها التاريخي والديني والاجتماعي، مع شرح أهميتها المستقبلية كواحدة من أميز المناطق التاريخية والإستراتيجية في العاصمة الخرطوم. كما تتبع أهمية هذا البحث من أنه يعمل على تسليط الضوء على منطقة التقاء النيلين، ومعرفة مدى الإهتمام بها عبر مختلف العهود التاريخية في السودان. إنتهجت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي بغرض الوصول إلى نتائج والتي منها منطقة مقرن النيلين من أقدم المناطق الحضارية في السودان وترجع إلى فترة حضارات عصر ما قبل التاريخ، كما شهدت هذه المنطقة استيطان بشري منذ بدايات الحضارات السودانية في العصور التاريخية اللاحقة. ولفتت هذه المنطقة أنظار العديد من المهتمين من إداريين ومهتمين وذلك لموقعها الإستراتيجي المميز ولماظرها الطبيعية الخلابة.

Abstract:

This research aims to study the Ninylein hosting area in Khartoum and follows its historical and religious and social development, with its future importance as one of the most important historical and strategic areas of the Khartoum. It also stems from the importance of this research that it works to highlight the Nileini's area, and know how excellent attention through the historical efforts of Sudan. The study adopted the analytical transparent approach to the results of the results, which have a Ninylein host area from the oldest civilizations in Sudan and is due to the period of the convictions of the time of the history. The region has seen humanitarian disputes since the beginning of Sudanese civilizations in the substantive dead. The region has given the attention of many interested members from the administrators and interested in the distinctive strategic location and its scenic scenery.

مقدمة:

موقع مقرن النيلين:

يقع ملتقي أو مقرن النيلين عند مدينة الخرطوم ، في المنطقة التي تعرف بالمقرن وذلك لإقتران مياه النيل الأزرق بالنيل الأبيض في هذه المنطقة ، ويكون النيلين الأزرق مع النيل الأبيض برزخاً ومنظراً خلاباً يعتبر الأوحده على مستوى القارة الأفريقية .
يسمى نهر النيل بهذا الاسم بعد مروره بمنطقه المقرن ، حيث يستمر في الجريان حتى الدلتا في مصر ، ويعتمد النيل في جريانه على مياه النيلين الأزرق والأبيض.

إنسان الخرطوم:

المكتشفات الأثرية بمنطقة المقرن:

شهد مثلث إقليم الخرطوم (المقرن) ظهور حضارات قديمة تؤرخ إلى عصور ما قبل التاريخ أبرزها «حضارة الخرطوم الباكراة» (Early Khartoum) أبرزها ترجع للعصر الحجري الوسيط (Mesolithic) (7000-5000 ق م). وقام بتقيب الموقع الأهموجي « لحضارة الخرطوم الباكراة» عالم الآثار البريطاني أنطوني أركل (A.J.Arkell) ونشر نتائج هذا الإكتشاف عام 1949م في مؤلفه الموسوم بـ«Early Khartoum»⁽¹⁾

موقع مستشفى الخرطوم : العصر الحجري الوسيط :

أماطت حفريه موقع حضارة الباكراة الذي يمثله اليوم «مستشفى الخرطوم التعليمي» عن أشتات كثيفة من المعثورات الأثرية تشتمل على الفخار والأدوات الحجرية والعظمية وعظام

حيوانات ورخويات فضلاً عن خطاطيف استخدمت لصيد الأسماك . كما تم التعرف على المدافن وأجريت دراسة علمية للهيكل العظمية التي عثر عليها لأصحاب سكان الخرطوم الباكرا (أنظر أدناه) . تشير المعثورات الحجرية إلى أنها تضم نوى ومكاشط ومدقات ومجارش وهلايات بكميات كبيرة . استخدمت العديد من المواد الخام لصنع هذه الأدوات فالمساحن كانت من الحجر النوبي والأدوات الهلالية الميكروليثية صنعت من الكوارتز كما استخدم الصوان والفلنت والصخر الطيني في تشكيل أغلب المكاشط والسكاكين⁽²⁾ . وتجدر الإشارة إلى أن أقرب مصدر للاحجار التي صنعت منها هذه الأدوات الحجرية عند الشلال الأول (السبلوقة) شمالي مدينة الخرطوم (لوحة : 1)

تم العثور على كميات كبيرة من الأواني الفخارية على هيئة كسر بأحجام وأشكال متباينة . ويتميز أغلبها بالفوهة المفتوحة . وتم التعرف على كميات غير قليلة من أواني الطبخ بأحجام متنوعة وقواعد دائرية وعلى كاسات وأكواب بنسب ضئيلة⁽³⁾ لها ما يشابهها في العديد من المواقع الأثرية الأخرى بشمال وأواسط السودان . وصنعت هذه الأواني يدوياً واستخدمت طريقة اللفائف الحبلية في تشكيلها . ويلزم التنويه إلى أن فخار موقع مستشفى الخرطوم النموذج تخلو سطوحه تماماً من الصقل والتلميع ولكن تلمس على سطوحها الداخلية فقط . ويلحظ أن أغلب الزخارف هي المتموجة المحززة (Wavy lines) والمتموجة المنقطة (Dotted wavy lines) غير أن هناك أنماطاً أخرى أقل انتشاراً تشمل الزخاف المحززة، المنقطة، الأخدودية والمجدولة⁽⁴⁾ ، ويبدو أن حرق الآنية الفخارية لهذا الموقع قد تم في درجات حرارة عالية نسبياً رغم أنه لم تجر تحليلات علمية حرارية لقياسها . غير أنه من المرجح إنها قد أحرقت في أفران مفتوحة حيث لم يتم العثور على أفران جدارية كما تتميز بصلابة السطوح (لوحات 2-3).

عثر على مجموعة غير قليلة من عظام الحيوانات والأدوات العظمية (الرخويات) . وكانت هذه العظام لحيوانات تعيش في بيئة غابات سافنا كثيفة مثل الفيل ، وحيد القرن ، الأسد ، البومي ، النمس وغيرها والتي تحتاج إلى مناخ رطب⁽⁵⁾ . وأمطار غزيرة (400-500 ملم) غير متوفرة اليوم في إقليم الخرطوم. وثمة أدوات عظمية وجدت بهذا الموقع أبرزها صنارات وخطاطيف (Harpoons) استخدمت في صيد الحيوانات النيلية والأسماك (لوحة 4). وربما ظهرت حضارة الخرطوم الباكرا التي يمثلها الموقع النموذجي لها في منطقة مستشفى الخرطوم في العصر المطير المسمى بـ «الملاكيان Malakian» ما يقرب من 7000 عام قبل الميلاد⁽⁶⁾ . فلم يتم إعطاء تاريخ مطلق (Absolute) بالسنوات لهذا الموقع . ويعتقد أنه ظهر إلى حيث الوجود في تاريخ أبكر من ذلك إذا ما تمت مقارنته بتواريخ موقع السروراب - 2 الذي يبعد حوالي 45 كم شمال أمدرمان على الضفة الغربية لنهر النيل والذي أرخ إلى حقبة زمنية تصل إلى 7500 قبل الميلاد⁽⁷⁾ .

إعتمد أهل موقع الخرطوم النيوليثي في معيشتهم على الصيد البري والنيل بدرجة كبيرة مما يدل على الإستقرار قرب النيل لفترة أو لعدة مواسم في السنة . وتدل العظام على صيد

حيوانات بعضها ضخمة مثل الفيل والقرنتي ربما بالكمين والشباك بيد أن غالبية المعثورات العظيمة لأسماء . ومساكن هؤلاء الأقوام يبدو أنها من الحبال والجدلات التي وجدت مطبوعة على الطين وقطع الفخار إذ كانت تشيد من القصب وتستخدم في بناء الرواكيب والأكواخ كما هو الحال في بقية أجزاء الريف السوداني⁽⁸⁾ .

توضح الموجودات الأثرية أنهم كانوا يدفنون موتاهم في وسط المساكن ولم يعرفوا عادة وضع القرابين في القبور. وأبان تقرير الدكتور دوغلاس ديرى (D.Derry) أن أهل حضارة الخرطوم النيوليثي ينتمون الى عنصر زنجي. ولوحظ أن أفكارهم الضخمة كانت منزوعة القواطع (أي السننتان الأماميتان في الفك الأعلى) كما هو الحال لدى بعض القبائل السودانية في إقليم النيل الأزرق غرب الروصيرص⁽⁹⁻¹⁰⁾ .

موقع القوز – العصر الحجري الحديث :

أجري أنتوني آر كل مجس إختباري بمنطقة القوز في الموقع بهذا المسمى على بعد 2 كيلومتر شرق النيل الأبيض .وأماطت حفرية هذا الموقع التي وصل سمكها إلى مترين عن معثورات متنوعة (حجرية وفخارية وعظيمة) شبيهة بتلك التي نهبها آر كل في موقع الشهبان على بعد 50 كلم شمال أمدرمان بالضفة الغربية للنيل .وكان الغرض من هذا المجس الإختباري معرفة العلاقة بين الفخار المتموج الزخرفة (Wavy lines) الذي يمثل أقدم نمط لحضارة الخرطوم الباكراة والفخار ذو التموجات المنقططة(Dotted wavy lines)الذي وجد مصقول السطح بموقع الشهبان النموذج للعصر الحجري الحديث في أفريقيا مما يسهل معرفة التعاقب الطبقاتي (الزمني) بين حضارة العصر الحجري الوسيط (موقع مستشفى الخرطوم التعليمي) ونظيرها الحجري الحديث (الشهبان)⁽¹¹⁾ . وأثبتت نتائج هذه الحفرية في مجسي الإختبار (x38&p049) أن غالبية فخاريات حضارة الشهبان تعلق نظيرتها للخرطوم الباكراة مما يرجح الإحتمال أن الأولى متأخرة كرونولوجيا (زمنياً) عن الثانية . وتؤكد بشكل كبير أن الفخار المتموج الزخرفة والخالى من السطوح المصقولة أقدم زمنياً في الصناعة عن ذلك الذي تزينه الزخارف المتموجة المنقططة المصقولة والسائد بموقع الشهبان⁽¹²⁾ . وأشارت العديد من المراجع إلى سكان المجموعات النيلية واستقرارها في منطقة المقمر ، وأن الحضارة التي نشأت في هذه المنطقة ترجع إلى المجموعات النيلية أحمد مكونات السودان القديم ، وتشير روايات محس توتي إلى أن أجدادهم عندما وصلوا إلى منطقة التقاء النيلين وجدوا مجموعات (الجانقيه) الذين انسحبوا جنوباً ، وكلمة (جانقي) معروفة عند قبيلة الدينكا وهي إسم عام وقد حُرُفت بواسطة عرب كردفان ودارفور إلى (دينكا) ، وأصبح الدينكا يعرفون بهذا الإسم عند سكان السودان⁽¹³⁾ . ويمكن القول إن منطقة الخرطوم عموماً والمقرن على وجه الخصوص كانت موطن لقبائل الدينكا النيلية ، وذلك قبل وصول المجموعات العربية لهذه المنطقة وأن الدينكا هم من أطلق إسم الخرطوم على المدينة لأن التقاء النيلين الأزرق والأبيض يشبه خرطوم الفيل ، ويرجح أن إسم الخرطوم هو إسم دينكاوي⁽¹⁴⁾ .

مقرن النيلين وقصة سيدنا موسى مع الرجل الصالح:

ذكر الباكستاني أبو الأعلى المودودي في تفسيره (تفهيم القرآن) ، أن رحلة سيدنا موسى مع الرجال الصالح كانت في الخرطوم بالقرب من جزيرة توتي ، وهناك بعض الإشارات إلى أن المنطقة بالتحديد هي منطقة المقرن عن التقاء النيل الأزرق بالأبيض⁽¹⁵⁾.

نجد ومن خلال ما سبق أن منطقة المقرن التقاء النيلين الأزرق والأبيض من المناطق ذات الدلالة الدينية والروحانية ، وفي الوقت نفسه أن هذه المنطقة بالتحديد لها تأثير خاص على كل معظم السودانيين وذلك لسحرها وجمالها ، وقد عبر عن ذلك الشعراء والأدباء في وصف جمال هذه المنطقة بالتحديد.

هجمات المجموعات النيلية على سكان المقرن :

قامت المجموعات النيلية بشن العديد من الهجمات على المجموعات العربية التي استقرت في منطقة المقرن ، وقد أطلق على هذه الهجمات اسم هجمات (العكليتة) ، وقد روعت هذه الهجمات سكان المنطقة، وقد انطلقت المجموعات النيلية من مملكة (ألس) الكوة الحالية على ضفاف النيل الأبيض بغرض الهجوم على منطقة الخرطوم الحالية⁽¹⁶⁾.

منطقة المقرن:

يلتقي النيلين الأزرق والأبيض في منطقة المقرن بالخرطوم، في زاوية قائمة ، وهي من الملامح الطبوغرافية المهمة لمنطقة ولقد أطلق على منطقة المقرن اسم (رأس الخرطوم)، وقد قامت بهذه المنطقة العديد من أكوخ صيادي الأسماك⁽¹⁷⁾.

حلة المنجرة في المقرن:

قامت بالقرب من منطقة المقرن حلة صغيرة عرفت باسم (المنجرة) ولقد سميت بهذا الإسم لأنها كانت مرسى للسفن الشراعية، وقد كانت مبانيها في أول الأمر من جلود البقر والقش، وشهدت بداياتها الأولى صناعة المراكب ، ويرجح تاريخ ظهورها إلى القرن السادس عشر الميلادي بواسطة مجموعات المحس والجموعية التي استوطنت هذه المنطقة ، وقد امتدت هذه القرية حتى منطقة الأسكله والمتحف القومي الحالي ، وقد استفاد أهل هذه القرية من المنخفضات الغربية في الزراعة بعد انحسار النيل، وتعتبر حلة المقرن أقدم أثر عمراني في منطقة الالتقاء⁽¹⁸⁾.

قبيلة المحس في منطقة المقرن:

تعتبر قبيلة المحس الشريك القوي مع قبيلة الجعليين والصواردة والدراسة والمريوماب الذين منهم الشيخ حمد ودأم مريوم تلميذ الشيخ أرباب العقائد في تعمير منطقة المقرن ، بعد هجرتهم لهذه المنطقة في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي، ويرى ماكمايكل أن وصول المحس للمنطقة لمنطقة المقرن كان في السنوات الأولى من القرن السادس عشر الميلادي ويرجح وصول المحس إلى منطقة المقرن في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي ، ويعتبر الشيخ إدريس ود الأرباب من أبرز رجال المحس في المنطقة ، وقد ولد في سنة (690هـ - 1504م)⁽¹⁹⁾.

انتقل الشيخ أرباب العقائد من جزيرة توتي إلى المنطقة القريبة من حلة المقرن قبل العام (1691م) ، وقام ببناء مسيدا وخلوة كانا في أول الأمر من المواد المحلية (القش والحطب) ثم تحول البناء إلى الطوب اللبن ، وقد ساعده أهله المحس البداناب في إقامة المسيد والخلوة بالقرب من المقرن⁽²⁰⁾. وقام الملك فاروق في عهدالحكم الثنائي(الإنجليزي-المصري) بإعادة بناء المسجد بشكله الحالي(لوحة:6).

طابية المقرن:

بنيت هذه الطابية منذ العهد التركي في منطقة المقرن في مواجهة جزيرة توتي ، وكان بهذه الطابية مدفعان ، وعند حصار الخرطوم دافعت هذه الطابية دفاعاً مستميتاً عن المدينة. وقد كانت باقية حتى تم هدمها بواسطة الأنصار في العام (1897م) بغرض بناء طابية جديدة بالقرب من النيل. وقد هدمت الطابية الجديدة والتي كانت قائمة في موقع المقرن في العام (1931م) بغرض توسيع شارع النيل . وتعتبر طابية المقرن من أهم التحصينات التي شكلت حماية للمدينة⁽²¹⁾ وتوجد بوسط الخرطوم العديد من القباب التي ترجع للعهد التركي (لوحة:7) كما لوحظت بعض الأضرحة التي تؤرخ للعهدين السناري(1504-1821م) والتركي(1885-1881م) (لوحة:8). ولزيادة الدفاعات حول الخرطوم عمل غردون باشا على توزيع البواخر التي بحوزته على نقاط الحماية في النيل الأزرق ، والأبيض وجعل أحد البواخر النيلية عند المقرن بغرض تدعيم الطابية ، وذلك ولمنع قوات الأنصار من الوصول إلى المدينة عبرها⁽²²⁾.

منطقة الخرطوم في فترة المهديّة :

وقد كانت منطقة المقرن تمثل الحد الشمالي لعمالة الجزيرة والتي تمتد من المقرن وحتى جبل إدريس وتشمل القرى الواقعة شرق النيل الأزرق، وغرباً من العيلفون حتى سيرو، وكذلك قرى النيل الأبيض⁽²³⁾.

رغم تحول العاصمة من الخرطوم إلى أم درمان في فترة المهديّة ، إلا أن الدولة المهديّة سعت إلى الإستفادة من المدينة في بعض الأمور المهمة حيث أنها سعت إلى استغلال الملح الصخري أو ملح النترات (البوتاسيوم والصوديوم) من الخرطوم⁽²⁴⁾.

طابية المقرن في فترة المهديّة:

عملت الدولة المهديّة على إقامة طابية جديدة في منطقة المقرن ، بعد إزالة طابية الحكم التركي التي كانت قائمة في هذه المنطقة ، لذلك وجدت هذه الطابية الإهتمام الواضح من قبل الخليفة عبد الله والأمير يعقوب جراب الرأي . فقد زودت بمدافع من بيت الأمانة وثلاثة صناديق ذخيرة، تم استلامها بواسطة الرشيد كرومة المسئول عن الطوابي في ذلك الوقت⁽²⁵⁾.

منطقة المقرن في فترة الحكم الإنجليزي -المصري:

بغرض حماية منطقة المقرن من التآكل المائي والذي أصبح مهدداً رئيسياً لهذه المنطقة، قامت الحكومة البريطانية بتشديد رصيف في العام (1907م) بطول 500 ياردة ، وقد شيد بصورة

متينة. ويذكر أن الحكومة البريطانية كانت تعمل على إقامة ميناء للبواخر ويتم توصيل هذه الميناء بخط السكة حديد. وقد سعي المخططون لهذا الرصيف إلى ربطه ببوابة بري وكان مخططاً له أن يكتمل في خمسين عاماً⁽²⁶⁾.

سعت الحكومة البريطانية إلى الإهتمام بمنطقة المقرن وذلك لأهميتها السياحية والطبيعية، لذلك عملت على إنشاء عدد من المنازل لكبار موظفيها، كما قامت بإنشاء المعهد الفني وعدداً من المنشآت العامة بالإضافة إلى بعض دور الأهالي ذات المرتبة العالية، كما ظهرت كذلك حلة المقرن والتي صنف في فترة الحكم الإنجليزي أراضي درجة ثالثة⁽²⁷⁾. وتطور المعمار حالياً بالخرطوم وبنيت المنازل ودور كثير من المؤسسات العامة والخاصة على النمط الغربي الحديث (لوحة:9).

الخاتمة:

تعتبر منطقة المقرن ذات الجذب السياحي العالي، حيث تتميز بسهولة الوصول إليها من داخل وخارج السودان، وإذا وجدت القليل من الاهتمام يمكنها أن تحتل واجهة السياحة في ولاية الخرطوم، يدعمها في ذلك موقعها الوسطي وقربها من المتحف القومي ومتحف التاريخ الطبيعي، ومتحف القصر الجمهوري في مدينة الخرطوم، ثم متحف الخليفة في أم درمان، والمتحف الحربي في مدينة الخرطوم بحري، كما تقع بالقرب من الفنادق السياحية مثل كورنثيا، كورال، السلام روتانا. لكل ما سبق، يمكن أن تصبح منطقة المقرن أهم مقصد سياحي في وسط السودان.

النتائج:

خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج منها:

- أهمية منطقة المقرن من الناحية التاريخية والدينية والجغرافية.
- تعتبر من أميز المناطق السياحية في ولاية الخرطوم.
- شهدت المنطقة إستيطان بشري منذ فجر التاريخ وتواصل حتى يومنا هذا.

التوصيات:

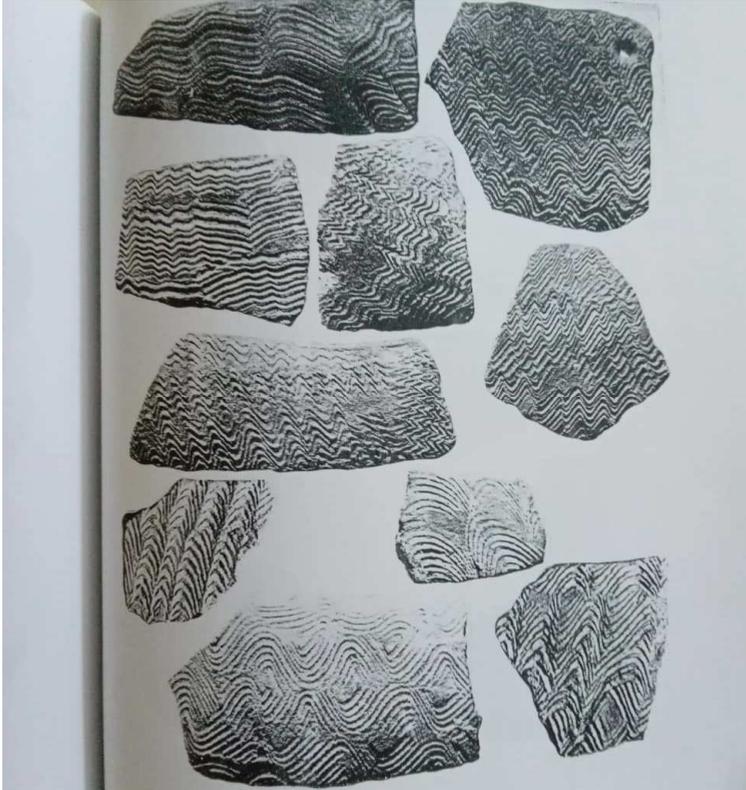
- من التوصيات التي خرجت بها الدراسة
- الإهتمام بمنطقة المقرن من الناحية المعمارية والجمالية.
- العمل على تشجيع السياحة الداخلية والخارجية لهذه من خلال التوعية الإعلامية وتنشيط وكالات السفر والسياحة والفندقة لهذه البقعة المهمة في ولاية الخرطوم.
- إنشاء موقع أسفيري خاص بالسياحة وعمل طابع بريدي يعرف بهذه المنطقة المهمة

قائمة اللوحات:

- لوحات لمعثورات من موقع "مستشفى الخرطوم": حضارة الخرطوم الباكراة (المصدر: A.J. Arkell 1949)



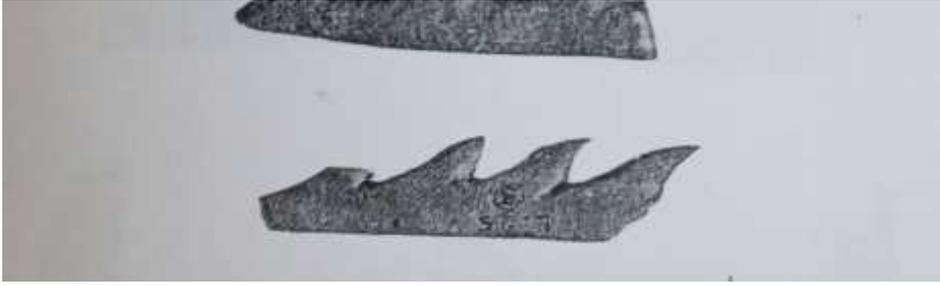
(لوحة: 1) مساحن ومجارش حجرية



(لوحة: 2) فخار متموج الزخرفة



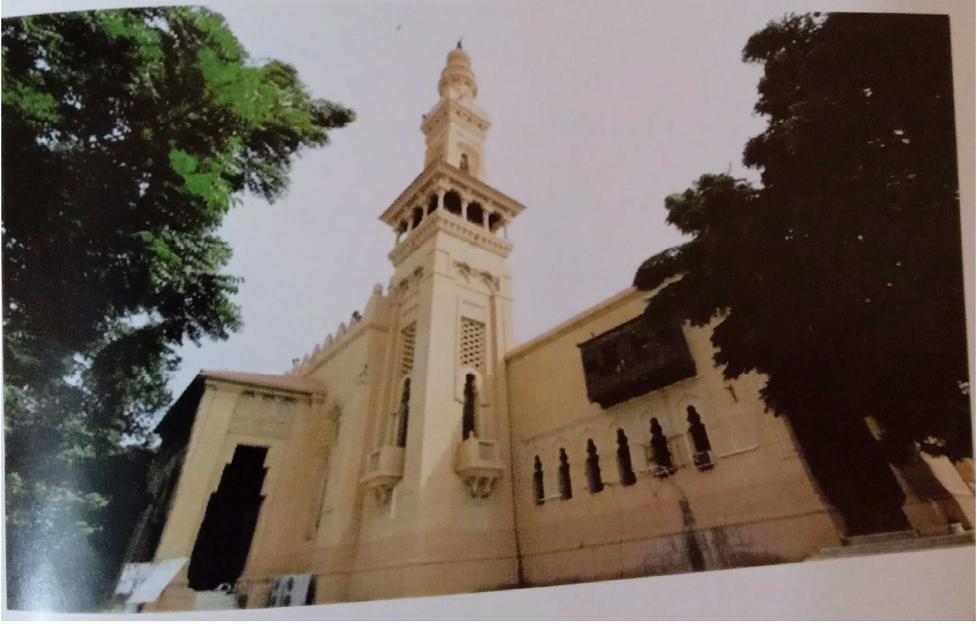
(لوحة: 3) فخار بزخرفة متموجة منقطة.



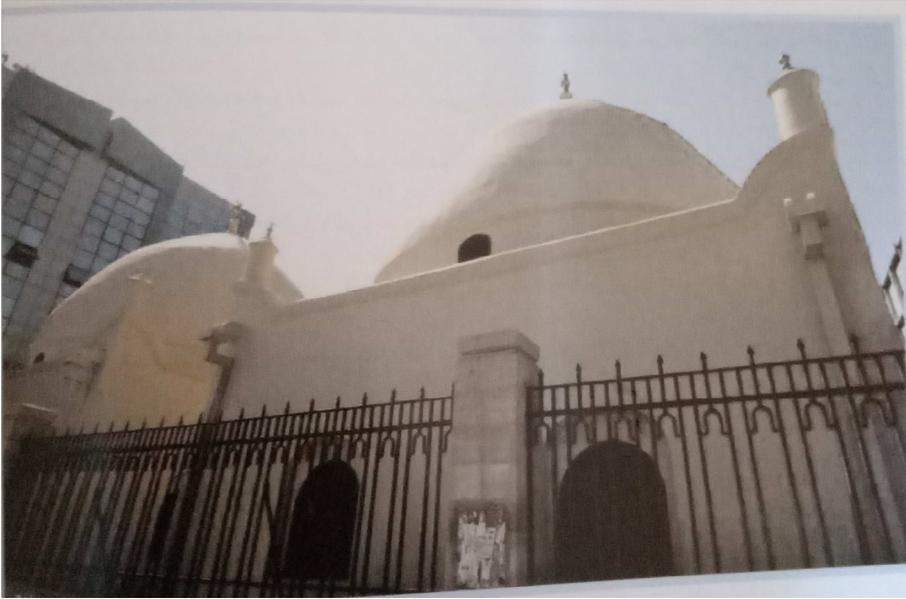
(لوحة: 40) خطاطيف صيد السمك



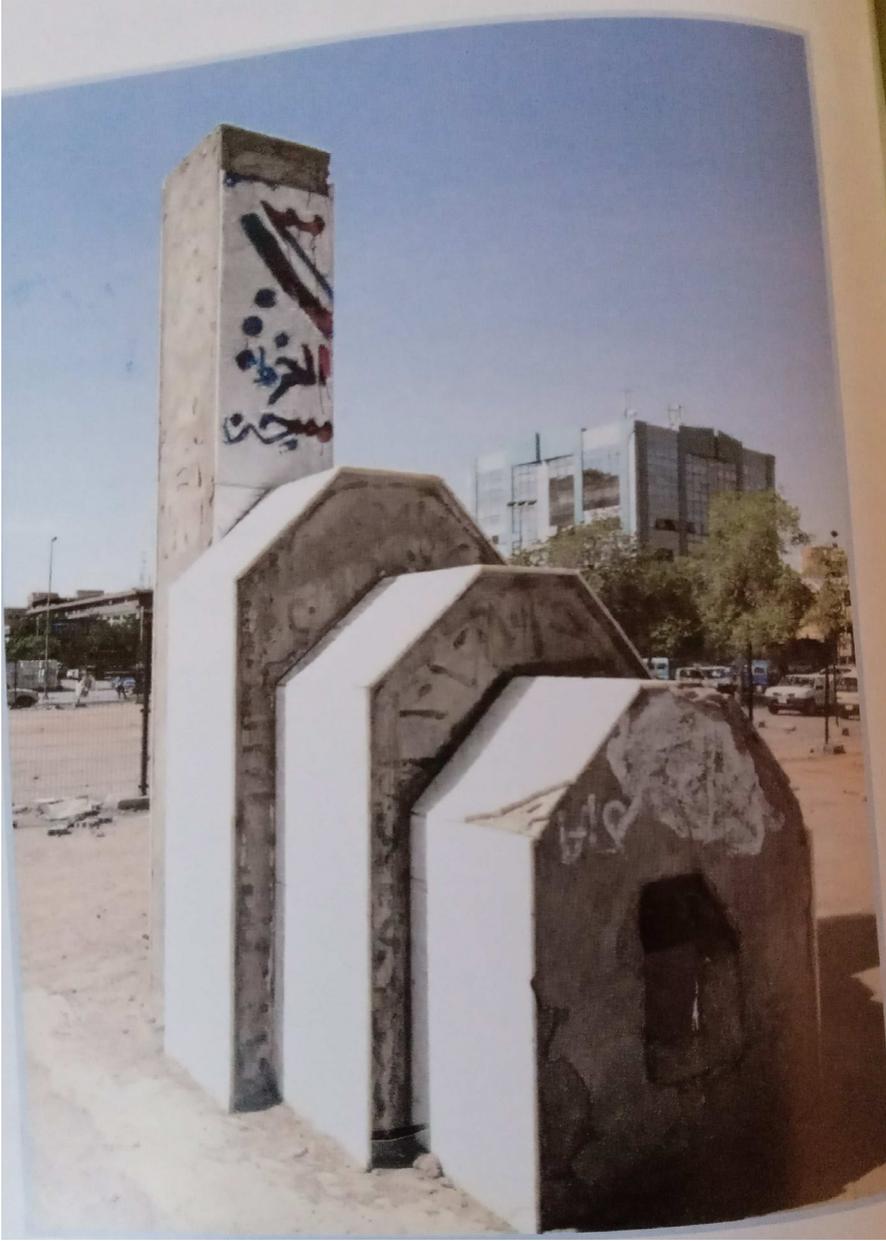
(لوحة: 5) صورة جوية لمقرن الخرطوم



(لوحة: 6) مسجد أرباب العقائد (مسجد فاروق حالياً)



(لوحة: 7) قباب الأتراك وسط مدينة الخرطوم



(لوحة: 8) ضريح الشيخ أبو جنزير



(لوحة: 9) صورة جوية لمدينة الخرطوم الحديثة.

الهوامش:

- (1) Arkell, A.J. 1949 Early Khartoum. London.
- (2) Ibid. : 4174-
- (3) Ibid. : 8198-
- (4) Ibid. : 8498-
- (5) Ibid. : 2630-
- (6) Arkell , A.J. 1975 Prehistory of the Nile valley- Leiden:200.
- (7) Khabir, A.M- 1987 . Current Anthropolgy28:377380-
- (8) دفع الله ، سامية بشير ، تاريخ الحضارات السودانية القديمة : دار هایل للطباعة والنشر والتوزيع ، الخرطوم : 51
- (9) المرجع السابق : 52 .
- (10) Arkell,A.J.1949, Op.cit:3133-
- (11) Arkell, A.J. 1953.Shaheinab. London.
- (12) Ibid. : 97101-.
- (13) حمد أحمد سيد أحمد ، تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري ، (1820-1885م)، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2000م ص 86.
- (14) صلاح عمر الصادق ، دراسات سودانية في الآثار والفلكلور والتاريخ (ب.ت) ، ص 86-87..
- (15) محمود عثمان رزق ، السودان مهبط التوراة ومجمع البحرين ، مطبعة جامعة الخرطوم ، الخرطوم ، 2016م ، ص 51.
- (16) أحمد أحمد سيد أحمد ، مرجع سابق 96.
- (17) صلاح عمر الصادق ، مرجع سابق ، 72-73.
- (18) محمد إبراهيم ابوسليم ، تاريخ مدينة الخرطوم ، شركة مطابع السودان للعملة ، الخرطوم ، 2008م ، ص 166.
- (19) حمد أحمد سيد أحمد ، مرجع سابق ، ص 78.
- (20) المرجع نفسه 81.
- (21) صلاح عمر الصادق ، مرجع سابق ، 72-73.
- (22) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، دار عزة للطباعة والنشر ، الخرطوم ، 2007م ، ص 784-785.
- (23) على محمد على ، القضاء في دولة المهديّة ، مركز الدراسات السودانية ، القاهرة ، 2002م ، ص 107.

- (24) محمد سعيد القدال، السياسة الاقتصادية للدولة المهدية، مصادرها وتطبيقاتها، (1880-1889)، دار الجيل، بيروت، 1992م، ص103.
- (52) د. و. م. خ/ مهديّة 1/B10/2 من الرشيد كرومه إلى الأمير يعقوب، 22 ربيع أول 1316هـ، 19 أغسطس 1898م، ص79.
- (26) محمد إبراهيم أبوسليم، مرجع سابق 150-151.
- (27) المرجع نفسه، ص 167.

تاريخ مدينة بورتسودان

قسم التاريخ كلية الآداب
جامعة البحر الأحمر

د. بدوي الطاهر أحمد البدوي

مستخلص:

ميناء بورتسودان يرجع تاريخ انشاؤه الي حقبة الاستعمار البريطاني علي السودان، اراد المستعمر البريطاني اقامة ميناء حديث يواكب التطور في صناعة السفن ويكون بديلاً عن ميناء سواكن التاريخي الذي ارتبط ازدهاره بالحكم التركي والدولة العثمانية فكان انشاء الميناء بمرسى الشيخ برغوث في العام 1905م وافتتاحه بالعام 1909م. يتتبع الباحث هنا تطور الميناء والمدينة ويبرز الدور الاقتصادي الهام للمدينة وبداية تشكل مجتمع جديد ارتبط بالنشاط الاقتصادي للميناء، توصل الباحث الي ان تطور المدينة تم علي يد حكومة الاستعمار البريطاني الذي هدف الي تخطيط مدينة حديثة علي الطراز الاوروبي كما تبين ان توقف تنمية القطاع الخدمي ليواكب تطور المدينة وتوسعها يعوق ازدهار المدينة اقتصادياً وحضارياً.

كلمات مفتاحية: الشيخ برغوث - الخديوي عباس حلمي الثاني - رالستون كينيدي - الحي الاغريقي - فنار سنقنيب.

History of the city of Port Sudan

Dr.Badawi Eltahir Ahmed Al Badwi

Abstract:

Port Sudan was built in the British colonial era in years between 1905 – 1909 where ‘Sheikh Berquoth’ anchorage lied. The British colonizers wanted to build a modern port keeping pace with the development of ship manufacture and replacing the historic harbor of Suakin, which flourished during the Turkish rule under the Ottoman Empire. The researcher has studied how the city and the port have been developed and how important the economic role of the port has been in creating a new community linked to the economic activity of the port. The researcher also has concluded that the city was designed and developed on European cities style by the British colonization government who planned to build a modern city. As well as the fact that the failure of the service sector in keeping pace with the growing of the city has prevented it from flourishing economically and being as civilized as it must be.

Key word; Sheikh Berquoth – Khedive Abbas Hilmi 11 _ Ralston Kennedy _ Grecien Lane Sangnib Light House

مقدمة :

كان انشاء مدينة بورتسودان مرتبطاً بالحوجة الماسة لمرفأ للسفن التجارية التي تطورت صناعتها واصبحت ذات غواطس ضخمة. ونسبة لاهمال ميناء سواكن وحضاره طوال فترة الدولة المهديية بالسودان مما ادي لنمو الشعاب المرجانية بمدخل بوغازه واصبح لا يصلح لاستقبال السفن الكبيرة. فكر المستعمر الانجليزي في اقامة ميناء جديد بخليج الشيخ برغووث واختمرت الفكرة بالعام 1903م ورأت النور بالعام 1905م حيث وصل اليها خط السكة الحديدية. وافتتح الميناء رسمياً علي يد خديوي مصر عباس حلمي الثاني في العام 1909م .
تكمن اهمية هذا البحث في تسليط الضوء علي تاريخ ميناء السودان الحديث ومنفذه للعالم الخارجي، الهدف من البحث تتبع تطور مدينة بورتسودان معرفة دورها الاقتصادي في تنمية السودان وخدمة التجارة.

هيكل البحث: يتكون من هذه المحاور:

- تاريخ انشاء الميناء
- التطور العمراني
- سكان بورتسودان
- مستقبل بورتسودان

كان ميناء السودان القديم مدينة سواكن التاريخية مدينة عريقة وصفت بدرجة المدائن على سواحل البحر الاحمر وصفها البرتغالي خوان دي كاسترو بانها لشبونة الشرق وذلك عند الغزو البرتغالي على مدينة سواكن 1516م. خدمت سواكن التجارة العالمية على مدى خمس قرون. بعد نجاح الثورة المهديّة التي قادها محمد أحمد المهدي ضد الحكم التركي المصري وسقوط الخرطوم 1885م لم يبق في حوزة الحكومة المصرية بالسودان عدا سواكن المدينة المحصنة بالاسوار والقلع.

كانت الحرب سجال بين الثورة المهديّة وحكومة مصر حول اسوار سواكن حاول الانجليز استرداد السودان عبر سواكن الا ان استماتة البجه في الدفاع عن جبهة السودان الشرقية حال دون ذلك. نشوب الحرب حول سواكن عطل التجارة حيث لم تدخل السفن التجارية الميناء عدا سفن الحكومة لتموين الجنود المرابطين بسواكن.

هذا الوضع شجع الشعاب المرجانية لتنمو في مدخل خليج سواكن لقللة حركة الملاحة مما افسد مدخل الميناء واصبح عاملاً طبيعياً شجع الحكومة الانجليزية بعد احتلال السودان 1899م بان تفكر في اتخاذ ميناء جديد للقطر السوداني.

فكانت فكرة انشاء ميناء بورتسودان بديلاً لسواكن ولقد ساعد تطور صناعة السفن وعظم غواطسها في عدم ملائمة ميناء سواكن للسفن الحديثة مع تفتش الشعاب المرجانية . هنالك اسباب اخرى مثل ضيق مساحة جزيرة سواكن واكتظاظها بالعمائر لتفكر الحكومة في انشاء مدينة جديدة على النمط الغربي بتخطيط حديث مغاير لسواكن ذات السمات الشرقية. تبلورت الفكرة في عقول قادة الحكم الانجليزى وشرعوا في التنفيذ قبل احتلال السودان فكان بناء فنار سنقريب القديم عام 1897م وذلك لانهم اختاروا شرم الشيخ برغوث ليكون الميناء الجديد وهو مرسى للقوارب الصغيرة عند ضريح رجل صالح عابر سبيل كان قاصداً الحج فتوفاه الله بالبحر⁽¹⁾ فقبور بتلك المنطقة وأصبحت تعرف بالشيخ برغوث ولازال ضريح هذا الرجل الصالح على رصيف الميناء الشرقى.

كان للمهندس رالستون كيندى دورا كبيرا في انشاء الميناء الجديد فوضعت الدراسات اللازمة وبدأ التنفيذ عام 1905م ببناء الارصفة والمرابط ووصول الخط الحديدي من مدينة عطبره ليربط الميناء بالعاصمة الخرطوم.

كان افتتاح ميناء بورتسودان في وجه الملاحة العالمية عام 1909م حيث افتتحها خديوى مصر عباس حلمى الثانى بصحبة حاكم عام السودان الانجليزى ريجلند ونجت باشا.⁽²⁾ كان ذلك في احتفال ملكى امام مبنى مديرية البحر الاحمر ببورتسودان ولقد زار ملك بريطانيا العظمى جورج السادس بورتسودان عام 1912م في طريقة للهند. اصبحت بورتسودان ميناء السودان فنزح اهل جزيرة سواكن من سواكبين وجاليات اجنبية وتكامل وصولهم عام 1924م بوصول آخر الجاليات وهى الجالية الهندية.⁽³⁾ ولقد نشب صراع بين اهل سواكن والحكومة امتد منذ عام 1906م الى عام 1922م لاعتراض الاهالى على الترحيل للمدينة الجديدة ولكن بعد توفير الماء العذب 1922م بمد خط ناقل للماء العذب من خور اربعات تشجع الاهالى فنزحوا الى بورتسودان شجعت الحكومة التجار لاعمار الدور والبناء ومنحتهم التسهيلات.

التطور العمرانى لمدينة بورتسودان:

بدأ تشييد المباني لخدمة اعمال الميناء وقام على اكتاف ثلاث فرق من الجيش المصرى بقيادة المهندس يوزباشى محمد يوسف حيث شيّد المباني الحكومية ومعسكرات الجيش وكانت حركة العمران مرتبطة باعمال الحكومة. كانت منازل الاهالى تبنى بالاخشاب ولكن بعد توفر مواد البناء بعد حرب العالمية الثانية قامت العمائر بالحقى الافرنجى اول الاحياء السكنية التى تشيّد بالمواد الثابتة ثم انتقل العمران من حى الى آخر وتم تخطيط المدينة على نسق جميل يراعى الحدائة حيث تصب شوارع المدينة في قلبها حيث السوق الرئيسى وموقف تجمع وسائل المواصلات العامة.

الاحياء السكنية ببورتسودان:

ذكر الباحث ان مرسي الشيخ برغوث والتي ينطقها البجه برؤوت لعجمة لسانهم كانت مرسي صغير للصيادين به مجموعة من الاكواخ وضريح الرجل الصالح برغوث (احمد الولي) ويعرف عند البجه باحمد عاوي ولكن بعد تخطيط مدينة بورتسودان لتكون مدينة حديثة خدمة لانها ميناء القطر السوداني ومنها تصدر حاصلات السودان الزراعية وتستقبل الوارد من التجارة العالمية .

اولاً: حى ديم العرب:

يعتبر من اقدم الاحياء تسكنه قومية البجه ويقصد بالعرب البجه لانها بعامية السودان يطلق علي كل اهل البادية عرب سواء اكانوا عرباً ام غير عرب، يتوسط الحى سوق شعبي لبيع المنتجات الشعبية للبدو وبه بعض الورش لصناعة الجلود والحدادة ويشتهر بمطاعم شعبية لبعض الوجبات الخاصة بالمنطقة كالشواء . وشهد هذا الحى ظهور الرعيّل الاول من ابناء البجه الذين ناهضوا المستعمر منهم بامكار محمد عبدالله (عمدة الحى) وكذلك العمدة حمد موسى بانديل وعلي ابو آمنة وريهاب قبسة وغيرهم، وشهد هذا الحى قيام مؤتمر البجه كحزب سياسي فيما بعد في العام 1958م.

يطلق علي هذا الحي ديم العرب وكلمة ديم تعني حي سكني وبهذا الحي نشاط ثقافي لابناء البجه برز فيه بعض المثقفين الذين قادوا حركة التنوير بوسط قبائل البجه وكان الحي يعتبر مقراً لنظارة قبائل الامرار . في فترة لاحقة ادخلت الخدمات بالحي مثل الخدمات الصحية والمدارس والالندية الثقافية مثل مركز التقدم للنمية الاجتماعية والثقافية ويعتبر مركز اشعاع ثقافي وسط سكان هذا الحي السكني.

حي ديم المدينة:

هذا الحي السكني تم تخطيطه في العام 1925م ليستقر به المهجرين من سكان جزيرة سواكن بعد اغلاق ميناء سواكن من العائلات السواكنية سمي في البداية حي النظام ولكن تغير الاسم الي مدينة نسبة لاسم امرأة كانت تسكن بتلك المنطقة قبل تخطيطه فعرف الحي بهذا الاسم يقع وسط المدينة غرب السوق.

شيدت منازلها في البداية علي نظام الترسينات السواكنية بالخشب وكانت المنازل مرتفعة عن الارض وارضياتها من الخشب ايضاً اشبه بالكرفانات ولكن مرور الزمن شيدت المنازل في شكل مباني ثابتة وعمائر سكنية وهذا الحي يعتبر مركز المدينة وقلبها النابض تمازجت فيه كل الثقافات والاعراق من خارج وداخل السودان.

يعتبر سكان هذا الحي هم من اسس المدينة الحديثة وقامت علي اكتافهم الحركة التجارية وخدمة الوظائف الحكومية والدوائر الحكومية والشركات لانهم رواد بحركة التعليم والتنوير وادخلوا الكثير من العادات والتقاليد التي شكلت طابع مواطني بورتسودان. يعتبر الحي سوق صغير كان مزدهراً في ماضي ايامه ولازال يستقطب الكثير من الرواد لانه يحمل عبق الماضي الجميل وبه بعض المقاهي التي تجمع سكان الحي للانس . شهد الحي نشاطاً رياضياً وثقافياً بالماضي كان مقراً للانشطة المسرحية والثقافية بنادي سواكن الاجتماعي ونادي الثغر ونادي الخريجين امتاز هذا الحي بالريادة بكل الانشطة .

حي طردونا:

هذا الحي اسس ليسكنه عمال الشحن والتفريغ بالميناء من اليمينيين الذين جلبهم المستعمر لمزاولة العمل بالميناء حتي لا يستعين بسكان المنطقة من البجه الذين كانوا اتباعاً للثورة المهديّة، دافعوا عن بوابة شرق السودان ضد المستعمر ولكن بعد فترة احتج البجه لتهميشهم بارضهم وجلب اليمينيين للعمل فاستغنت الحكومة عن اليمينيين فرجع بعضهم وآثر البعض البقاء والاستقرار ببورتسودان فسموا الحي السكني الخاص بهم طردونا نسبة لتخلي الحكومة الانجليزية عنهم، وجاور اليمينيين بالحي بعض السكان من السودانيين فتشكل تداخل ثقافي فريد تأسست عائلات بهذا الحي من اولئك المهاجرين نذكر منهم علي سبيل المثال آل عبدالرب آل الشاطبي آل الحسنني آل باجعفر وغيرهم.

من احياء وسط المدينة حي السكة الحديد ومن التسمية ندرك انه قام علي مساكن العمال بمرفق السكة الحديد ثم توسع الحي لتنضم له بعض العائلات ويفصل هذا الحي شارع عن حي ديم المدينة ولسكان هذا الحي مساهمات في النشاط الثقافي والرياضي ايضاً.

أحياء المنطقة الجنوبية:

تقع هذه الاحياء السكنية جنوب المدينة يفصلها عن وسط المدينة (خور موج) الذي ينحدر من جبال البحر الاحمر في غرب المدينة ليصب في البحر وهو خور موسمي الجريان عند هطول المطر.

حي ديم سواكن:

ويعتبر اشهر احياء القطاع الجنوبي للمدينة، وسمي كذلك ديم موسي سكنه بعض العمال من المهجرين من سواكن ممن كانوا علي هامش المدينة بسواكن فاستقروا وعملوا بالميناء والسوق واسسوا سوقاً وعملوا بالميناء والسوق واسسوا سوقاً تجارياً مزدهراً يشتهر بمطعمه ومقاهيه الشهيرة، ولسكان هذا الحي مساهمات بارزة بالنشاط الرياضي ولهم اندية رياضية متعددة وفيه فرقة السماكة للفن البحري التي تقدم فنون ورقصات صائدي السمك ذات الطالع العربي الذي انتقل مع مهاجري اليمن والحجاز.

هناك احياء تجاور هذا الحي مثل ديم جابر وجابر هذا كان رئيساً للعمال بالميناء علي عهد تأسيس الميناء وبهذا الحي سوق صغير تخصص في المنتجات السودانية كالحبوب واعمال السعف. ايضاً يجاوره ديم الجنانين وبه مزارع تعتمد علي الآبار لزراعة بعض الخضر وكان الانجليز يشجعون من يريد الاستثمار في النشاط الفلاحي لحاجة المدينة للزراعة وافتقارها لهذا النشاط كمنطقة ساحلية فتشجع بعض افراد الطائفة القبطية لعمل مزارع بتلك المنطقة مثل السادة تادروس وبطرس بسادة وجيمس. واستجلب هؤلاء مزارعين من شمال السودان للعمل في الزراعة فنجحت هذه التجارب واصبحت المنطقة تعرف بالجنانين.

ديم التكارنة:

من احياء القطاع الجنوبي ايضاً، ومن اسمه كان سكاناً للوافدين من غرب افريقيا من قبيلة الهوسا وهناك ايضاً حي الشاطئ المجاور لديم سواكن وهو حي صغير محدود المساحة يقع علي جانب الخور مطل علي البحر ومن هنا جاءت التسمية الشاطي.

ديم كوريا:

تم تخطيطه لاستقرار بعض سكان السكن العشوائى من الوافدين فاطلقوا عليه كوريا لعل الاسم يرجع لحادثة كانت تشغل الاعلام بذلك الزمان الا وهي الحرب الكورية.

حي الترانسيت (الترانزيت):

كانت المنطقة ثكنات للجيش البريطاني خاصة تمويل الطائرات الحربية ايام الحرب العالمية الثانية وبه مساكن لعمال البلدية ثم خطط الحي في نهاية الخمسينيات من القرن الماضي لسكن

الموظفين ثم توالى التوسعة ليصبح الحي احد احياء المدينة الراقية، وسكنت هذا الحي عائلات من العائلات القديمة بالمدينة وآخرين ممن طاب لهم المقام واستقروا ببورتسودان.

الاحياء السكنية بالقطاع الشرقي للمدينة:

تسمي احياء البر الشرقي وتقع بين حظيرة الميناء وساحل البحر الاحمر فمعظمها تطل علي البحر الاحمر لانها بشرق المدينة وهذه الاحياء ارتبطت تأسيسها بالعمل في الميناء لان قاطني هذه الاحياء من العمال في الميناء.

مثل حي التجاني والتجاني هذا كان علي راس العمل عند تشييد المباني بذلك الحي تسمي بأسمه ويجاوره حي الاسكلة ومساكن هذا الحي كانت حكومية خاصة بالعمال والموظفين بالميناء. ثم قام حي ابوحشيش لاستقرار عمال الملح والميناء ومعظمهم من الوافدين من شمال السودان ويجاوره حي ابوالدهب ثم حي سلبونا قام كامتداد لحي ابو الذهب سكنه عمال ايضاً من شمال السودان باعوا حلي نسائهم لشراء الارض فأسمت النساء الحي سلبونا أي سلبن من الزينة ويمتاز حي سلبونا بنشاط رياضي وفني كبير وبه أنشطة اجتماعية فمعظم سكانه من شمال السودان الذي عرف اهله بالتكافل.

الجاليات الاجنبية ببورتسودان:

شهدت مدينة بورتسودان هجرات كثيرة من خارج البلاد وذلك للعمل بالنشاط التجاري مع ازدهار المدينة ومنهمم التسهيلات من الحكومة فاستقرت هجرات من الهند ومصر واليونان وارمينيا وغيرها.

يطلق اهل بورتسودان علي الهنود اسم البنيان وهو يطلق علي التجار في الهند يقطن الهنود منطقة السوق واشتهرت تجارتهم في الاقمشة والعمود. ولهم نادي اجتماعي يجمع افراد الجالية بمنطقة الحي الافرنجي ولهم محرقة للموتي خارج المدينة. ومن اشهر التجار الهنود - ديرام - سانجي رامجي - جيو غاندي - كيشور - مهندرا - بروين وغيرهم. وهناك جاليات يونانية وقبطية وايطالية وارمنية هاجرت اليوم كل الجاليات الاوروبية ومعظم الاقباط لاسباب مختلفة تعرضت لها اعمالهم بالبلاد.

ذكر لبعض الشخصيات من مجتمع بورتسودان:

اشتهرت ببورتسودان شخصيات كثيرة عرفت علي مستوي القطر السوداني وكان لها اثر كبير بمجال كل منهم نذكر منهم:

السيد علي حسب الله ملاسي من ابطال ثورة 1924م وكان يعمل بمصلحة البريد والبرق وهو من ابناء السواكنية حكم عليه بالاعدام ولكن خفف الحكم سبعة سنوات سجن كان مناضلاً جسوراً. من مجتمع بورتسودان الدكتور طه عثمان بليه وهو اول طبيب من قومية البجه اسس حزب مؤتمر البجه عام 1958م وعمل بهيئة الصحة العالمية ثم طبيباً خاصاً لامبراطور اثيوبيا

هيلاسلاسي، كذلك الطبيب النفسي الشهير السيرة طه احمد باعشر وهو ثاني اختصاص بهذا المجال بعد الرائد العلامة البروفيسور التجاني الماحي.

من مجتمع بورتسودان الشاعر المطرب عبدالكريم عبدالعزيز الكابلي له اسهام كبير في مسيرة الفن السوداني وجمع التراث .

من اشهر المعلمين ببورتسودان المرحوم عبدالله احمد ناجي مدير المدرسة الثانوية الحكومية عمل فترة ملحقاً ثقافياً بسفارة السودان بالقاهرة، ومن المعلمين ايضاً الاستاذ عبدالقادر واكبر القاضي من ابناء البجة عمل كاوول مفتش للتعليم بالبحر الاحمر وهو اول خريج من كلية غردون من ابناء البجة ليعمل معلماً.

هنالك ايضاً رجال اعمال يشار لهم بالبنان علي نطاق القطر بل امتد نشاطهم لخارج البلاد امثال عبدالله باعبود وعبدالله سعيد باوارث وعلي العشي والسيد محمد البربري ومحمد عبد ربه وغيرهم. ومن المجتمع النسائي نذكر اول معلمة من المدينة السيدة فاطمة علي مرزوق تخرجت من كلية المعلمات عام 1955م والسيدة نفيسة الشقاوي كاوول صحفية وكاتبة قصة من المدينة وهناك بعض الرائدات في مجالات مختلفة كالحقل الصحى والعمل الوظيفي.

سكان بورتسودان:

تقع بورتسودان في منطقة قبائل الامرار وهم سكان ظهير الميناء اما سكان المدينة فتحوى خليطاً من البشر منهم السواكنيين وهم اهل جزيرة سواكن القديمة ومعظمهم من اصول وافده في فترة الحكم التركي المصرى الغالبية من جزيرة العرب (اليمن والحجاز)، وهنالك عائلات ذات اصول تركية ومصرية وغير ذلك.⁽¹⁴⁾

كانوا هم غالبية سكان المدينة عند انشائها ولكن بحكم تزايد عدد السكان واتساع المدينة شهدت المدينة وفود هجرات من داخل القطر شمال وغرب السودان قدر عدد سكان بورتسودان عند انشائها (29000 نسمة) منهم (10000 نسمة) من البجة يعملون عمال للشحن والتفريغ⁽²⁵⁾

مستقبل بورتسودان:

بمرور الزمن تفاقمت مشاكل بورتسودان لزيادة عدد السكان وعدم تطور الخدمات كالماء والصحة والتعليم وزيادة النزوح اليها من داخل البلاد بعد ربطها بطريق برى بالعاصمة الخرطوم ولكن هنالك جهود حثيثة لحل مشاكل المدينة بالتخطيط ومد خط ناقل للماء من النيل وامداد المدينة بالكهرباء من سد مروى عند تنفيذ هذه المشاريع سوف تستشرف المدينة واقعاً جديداً. بورتسودان موعوده بتنمية شاملة لتكون مدينة صناعية كبرى بعد توفر البنى التحتية للصناعات البتروكيمياوية لانها ميناء تصدير البترول السودانى عند رصيف بشائر بالقرب من بورتسودان وبها صناعات الملح وصوامع الغلال والمطاحن ومحلج القطن حيث يزرع بدلتا طوكر مما يشجع صناعة الغزل والنسيج مع ملائمة الطقس لهذه الصناعة.

توجد المعادن وعلى صدر القائمة استخراج الذهب بمنطقة ارياب تنتج دلتا طوكر الزراعية الخضر مثل الطماطم في موسم الشتاء مما يشجع قيام صناعات غذائية. مدينة بورتسودان يبلغ عمرها مائة عام , ونيف فهي حديثة بحساب الزمن والتاريخ ولكنها واعدته باذن الله لتكون مدينة صناعية جاذبة للاستثمار وهنالك السياحة حيث يتوفر بالمنطقة مواقع جذب سياحي في غاية الجمال سواء في الجزر البحرية أو على الجبال. بورتسودان موعوده لتكون مدينة استراتيجية كميناء للتجارة العالمية بانشاء المناطق الحره ومؤكد ان المستقبل لبورتسودان .



صورة لثلاث رجال من الخمسينات بالقرن الماضي : من اليمين السيد حسين ملاسي في الوسط
الشيخ محمد سعيد باعشر ثم السيد إبراهيم حمو شمال الصورة



كورنيش المدينة



صورة من سوق المدينة ويبدو مبنى الكنيسة الأرثوذكسية



فندق كورال بمدينة بورتسودان



صورة ملونة لمبنى المجلس البلدي بجواره تمثال أمير عثمان دقنة (أمير الشرق) الذي حطمه المتطرفين في بداية النقاذ



صورة لبنك النيل بمدينة بورتسودان



صورة لفندق البصيرة بلازا يقف أمامه رجل هندي



صورة لموظفي التلغراف الشرقي



صورة للسيد يونس صادق بدوي - موظف بشركة التلغراف الشرقي

الهوامش:

- (1) محمد صالح ضرار، تاريخ بورتسودان عروس البحر، ص ٧.
- (2) صلاح الدين الشامي، المواني السودانية، ص ١٥٨.
- (3) المرجع نفسه، ص ١٦٢.
- (4) المرجع نفسه، ص ١٨٤.
- (5) المرجع نفسه، ص ١٨٨.

المصادر والمراجع:

- (1) صلاح الدين الشامي، المواني السودانية ، مكتبة مصر 1961م، القاهرة.
- (2) محمد صالح ضرار، تاريخ سواكن والبحر الاحمر، دار الكتب السودانية 1981م، الخرطوم.
- (3) محمد صالح ضرار، تاريخ بورتسودان، مكتبة التوبة، المملكة العربية السعودية، 2009م.
- (4) محمد المصطفى الشيخ المجذوب حكاية بورتسودان ، القاهرة ، مطبعة المعرفة 2021

مدينة عطبرة - محطات وشذرات

كلية التربية- جامعة الخرطوم

أ.د. عصام إدريس كمتور الحسن

مستخلص:

هدف هذا المقال لإلقاء الضوء عن نشأة مدينة عطبرة وما يرتبط بذلك من جغرافيا وطبيعة سكانية لمدينة تعد من أشهر وأهم المدن السودانية حيث تقع في ولاية نهر النيل وتبعد عن العاصمة الخرطوم مسافة ما يقارب 310 كم؛ ومن ثم استعراض بعض الملامح الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والرياضية لتاريخ عطبرة المعاصر تلك المدينة التي نالت السيادة والريادة على ساير مدن السودان، الشامخة المترابطة اجتماعياً، مدينة الحديد والنار، رائدة الكفاح، ومهد الحركة النقابية وصانعة الثورات، وهي ترسم لوحة زاهية في الصمود والنضال عبر الأزمان.

الكلمات المفتاحية: عطبرة؛ ولاية نهر النيل؛ عاصمة الحديد والنار؛ مدينة عطبرة محطات وشذرات.

Atbaracity - Stations and Nuggets

Prof. EsamEdrisKemtor Al hassan

Faculty of Education - University of Khartoum

Abstract:

The aim of this article is to shed light on the birth of the city of Atbara and the related geography and demographic nature of a city that is one of the most famous and most important Sudanese cities. It is located in the state of the River Nile and is approximately 310 Km. away from the capital Khartoum. And then reviewing some of the cultural, social, economic and sports features of the contemporary history of Atbara, the city that gained sovereignty and leadership over the other Sudanese cities, the lofty socially interconnected, the city of iron and fire, the pioneer of struggle, the cradle of the union movement and the maker of revolutions, and it paints a bright picture of steadfastness and struggle through the times.

Keywords: Atbara; River Nile State; The capital of iron and fire; Atbara city - Stations and Nuggets.

نشأة مدينة عطبرة:

تقع مدينة عطبرة في ولاية نهر النيل بالسودان وهي تبعد عن العاصمة الخرطوم مسافة ما يقارب 310 كم، ويبلغ عدد سكانها حوالي 192,528 نسمة، وتعتبر عطبرة مدينة مقرن كالخرطوم؛ إذ يلتقي فيها نهر عطبرة، وذلك قبل أن يصب مجرى نهر النيل في البحر الأبيض المتوسط. هذا وتمثل قرية الداخلة النشأة الأولى لمدينة عطبرة؛ حيث تم اختيارها عام 1898م في أعقاب سقوط الحاميات العسكرية في أبو حمد وبربر لما تمثله من موقع استراتيجي مهم، تحفه الأنهار من جهتي الجنوب والغرب. وبوصول خط السكة الحديد من الشمال في منتصف العام 1898م إلى منطقة الداخلة بدأت النقلة النوعية وأصبحت المدينة محط الأنظار. كانت تُعرف المدينة قديماً باسم أتبرا- قبل استبدال حرف التاء بطاء - وهي مُشتقة في اللغة العربية من كلمة (تتبير) والتي تعني التدمير، أو التحطيم، أو الهلاك، وجاءت التسمية من هيجان نهر عطبرة وفيضانه؛ حيث كان هذا النهر يفيض في الاتجاه الشمالي الغربي وينحدر بسرعة كبيرة في سهولها المنبسطة، الأمر الذي سبب انجرافاً وتحطيماً لكل ما يقع في مجراه أو يكون على حواف ضفافه من عمران وبشر. ومع مرور الوقت تم استبدال حرف التاء بالطاء لتسمى باسمها الحالي.

السكان:

تعد فترة ما بعد العام 1950م هي مرحلة التطور الحقيقي في المدينة، بعد انتشار الأحياء السكنية الجديدة لأول مرة، والبدء في إعادة تخطيط معظم الأحياء القديمة بما يتماشى مع التطور الحديث. ومن ضمن مشاريع إعادة التخطيط ترحيل منطقة الأنادي إلى شرق المدينة؛ حيث تم تخطيطها كمناطق سكنية من الدرجة الثالثة، وفي نفس العام أُعيد تخطيط قرية الداخلة القديمة كمناطق سكنية من الدرجتين الثالثة والثانية إلى الشرق من القرية القديمة. وكان من نتائج زيادة عدد السكان في المدينة، والحاجة إلى مساكن جديدة؛ ظهور منطقة المزاد في شرق المدينة في العام 1960م، وفي العام 1962م أنشئت منطقة درجة ثانية بين منطقة المزاد والقلة للمواطنين الذين لم يُسمح لهم بدخول منطقة المزاد الأولى. وفي إطار التوسع الذي حدث للمدينة تم في العام 1968م توزيع أراضي سكنية في شمال المدينة وإلى الجنوب من خط سكة حديد عطبرة - بورتسودان لأولئك السكان الذين تأثروا بإعادة تخطيط قرية السيالة، كما خُصت منطقة المطار في شمال شرق المدينة كمناطق سكنية أيضاً لسكان قرية السيالة لعدم استيعابهم جميعاً في المنطقة الأولى حيث تم اختيار مطار عطبرة الجديد في خارج الحدود الشمالية الشرقية للمدينة. وبالمقابل فقد اختارت مصلحة السكة الحديد آنذاك منطقة في شرق حدود المدينة للبضائع والتخزين وذلك لمجابهة التوسع المتزايد في منشآتها. كما تم تخصيص منطقة مساحتها 100 فدان للقيادة الشمالية العسكرية. وفي هذا السياق فقد أضيفت هذه المناطق مجتمعة إلى حدود المدينة وهكذا تشكلت المدينة بصورتها الحالية. ومن الأحياء الرئيسة في المدينة؛ الداخلة، المورد، السيالة، حي السوق، الحصايا، المربعات، أمبكول، السكة حديد، حي العمال، خليوة، الإمتداد الشمالي، الإمتداد الشرقي، وحي المطار.

الجغرافيا والمناخ:

تقع مدينة عطبرة عند إلتقاء نهر عطبرة بنهر النيل، وذلك قبل أن يصب مجرى نهر النيل في البحر الأبيض المتوسط على إرتفاع 350 متراً عن مستوى سطح البحر، وعلى خط الطول 59، 33 شرقاً. وتبعد عن الخرطوم حوالي 310 كلم وعلى بعد 474 كلم غرب مدينة بورتسودان؛ الأمر الذي جعل منها موقعاً قريباً من الميناء والعاصمة القومية. ويسود المدينة المناخ الصحراوي الجاف، حيث تتميز بارتفاع درجات الحرارة فيها في معظم أيام السنة. بالمقابل ترتفع المدينة قليلاً في أجزائها الشرقية والشمالية عن مناطقها الأخرى، وتدرج في الانخفاض نحو نهر النيل ونهر عطبرة، حيث الخضرة وكثرة الأشجار، بينما يسيطر الجفاف على المناطق الشمالية والشرقية التي تبعد عنها، وكان جراء ذلك أن ظهرت المجاري المائية فيما يُعرف بالأخوار بكثرة في هذه المنطقة، والتي أثرت بدورها في تحديد طريقة العمران واتجاهاته إلى حد كبير؛ حيث توجد ستة مجاري مائية رئيسة، ثلاثة منها في الاتجاه الشمالي الجنوبي، أي أنها تنحدر من الشمال وتصب في نهر عطبرة.

وتمتد المجاري الثلاثة الأخرى في الاتجاه الشرقي إلى ناحية الغرب، وتصب في النيل الرئيس. وثلاثتها توجد في منطقتي السيالة والداخلة شمال غرب المدينة، وتسهم هذه المجاري مجتمعة في تصريف مياه الأمطار.

النقل والمواصلات:

تمثل مدينة عطبرة ملتقى مواصلات مميز؛ ترتبط مع أجزاء القطر المختلفة بخطوط السكة الحديد والطرق. وقد أدى هذا الموقع المميز إلى اختيارها رئاسة ومركزا للسكك الحديدية. بحيث تتفرع من عطبرة الخطوط الحديدية إلى بورتسودان عبر الصحراء الشرقية، وإلى وادي حلفا شمالاً على طول الصحراء النوبية وإلى الخرطوم العاصمة جنوباً؛ ولذلك فهي مركز مواصلات يربط الموانئ الرئيسة بالعاصمة، كما أنها تمثل حلقة وصل لأحد أهم المراكز العمرانية التي في ولاية نهر النيل، حيث مدينة بربر في شمالها ومدينة الدامر في جنوبها.

النشاط الثقافي:

مكتبة عطبرة:

تعد مكتبة عطبرة البلدية هي أول مكتبة في مدينة عطبرة؛ حيث أنشئت في العام 1954م والتي زخرت بالعديد من الكتب والمراجع الأدبية والعلمية والسياسية. وكان يرتادها معظم طلاب مدارس عطبرة والموظفين والمعلمين. وقد حظيت المكتبة بأمناء مكتبة بذلوا الغالي والنفيس في سبيل تطويرها والارتقاء بما تقدمه من خدمات نذكر منهم على سبيل المثال؛ بابكر محمد الخير، وخوجلي حسن، عبد الله عبد الرحيم، وفاطمة عبيد الله. وقد احتضنت المكتبة مؤخرًا منتدى الفكر والحوار والذي ما فتئ يعقد ندواته كل يوم ثلاثاء كما استقبلت المكتبة العديد من المعارض؛ لعل أشهرها معرض المليون كتاب والذي أقيم في ديسمبر / يناير 1991/90م

رابطة أصدقاء نهر عطبرة الأدبية:

كان مولد رابطة أصدقاء نهر عطبرة الأدبية في الفترة ما بين 56 - 1957م وتُعد بمثابة أول كيان ثقافي وفكري منظم في مجتمع مهياً لهكذا أنشطة وفعاليات. تعرّف الناس على الرابطة من خلال ما تقيمه من ندوات ومحاضرات، ومن خلال رموزها الذين كانوا ينشرون إنتاجهم الفكري في الصحف اليومية، بيد أن الرابطة حُلّت في العام 1958م مع بداية الحكم العسكري الأول. وفي منتصف سبعينات القرن الميلادي وبمبادرة من الشاعر حاج حمد عباس (رحمه الله) وآخرين؛ تم إحياء رابطة أصدقاء نهر عطبرة مرة أخرى وذلك بدار البجراوية والتي استمرت فترة من الزمن في إقامة الندوات والمحاضرات والقراءات النقدية، ليتجدد نشاطها وفعاليتها الثقافية ثانية في العام 2000م بدار اللجنة القومية لتطوير عطبرة، وإبان هذه الفترة أفلحت اللجنة في طباعة دواوين الشاعر حاج حمد عباس، وفي نفس الفترة (منتصف السبعينات) شهدت عطبرة عدة محاولات لإصدار صحف ولعله من أبرزها صحيفة الرياضي في العام 1978م وصحيفة النخيل

في العام 1980م وصحف النيل اليوم في العام 2010م بالإضافة إلى صحيفة صوت النيل والتي صدر أول أعدادها في العام 2013م.

المنتديات والمهرجانات:

شهدت عطبرة ومنذ العام 2000م قيام العديد من المنتديات الثقافية نذكر منها على سبيل المثال؛ منتدى الغناء الشعبي بدار فن الغناء الشعبي ومنتدى الثلاثاء الذي استضافه نادي العاملين بوزارة المالية في عطبرة، ومنتدى الإثنين الثقافي، ومنتدى الفكر والحوار والذي بدأ فعالياته بوزارة الثقافة لينتقل في مرحلة لاحقة إلى مكتبة البلدية بعطبرة. وفي العام 2013م أُقيم مهرجان النيل للأغنية الوطنية لأول مرة بمسرح النيل بمدينة عطبرة والذي شاركت فيه بالإضافة لولاية نهر النيل؛ ولايات الشمالية، الخرطوم، البحر الأحمر وقد كانت شخصية المهرجان الشاعر والكاتب والممثل السر قدور. وفي العام 2008م تأسس منتدى أبناء عطبرة الثقافي والذي اهتم بتنظيم العديد من الفعاليات والنشاطات الثقافية والاجتماعية، ولعل من أبرز ما قام به المنتدى تكريمه لأستاذ الأجيال عبد الرحمن عبد الله مؤسس مدرسة عطبرة الثانوية واحتفاله السنوي بذكرى استقلال السودان.

النشاط الرياضي:

عرفت عطبرة النشاط الرياضي منذ عشرينات القرن العشرين الميلادي؛ وعليه تُعد من أوائل المدن السودانية التي عرفت كرة القدم؛ حيث تم تأسيس دار الرياضة بعطبرة (أستاذ عطبرة) في العام 1927م. وفي نفس العام شهدت المدينة زيارة تاريخية قام بها فريق الأمراء المصريين برئاسة اللواء صالح حرب وعلى هامش هذه الزيارة قام بإهداء درع عُرف بدرع الأمراء المصريين على أن تتبارى عليه فرق المصالح الحكومية، بيد أن الإنجليز آنذاك تركوا هذا الدرع حبيسًا حتى العام 1938م وبدلاً من تخصيصه لفرق المصالح الحكومية جعلوا أندية المدينة والتي كانت في ذلك الوقت أن تتبارى عليه والأندية هي : توماس، الدار، النيل، الأمير، الوطن، الإتحاد والشبيبة. وأقيمت أول منافسة في العام 1939م والتي فاز بها نادي الأمير.

ظل إتحاد كرة القدم بعطبرة ومنذ بداياته تديره إدارة قوامها من الإنجليز برئاسة مستر وليامز مدير عام السكة الحديد. ونظرًا للإقبال المتزايد على نشاط كرة القدم؛ تم إعادة بناء دار الرياضة في العام 1954م وكانت قيادة الإتحاد آنذاك يترأسها المهندس أمين محمد علي السنجاي وهو أو رئيس سوداني لإتحاد كرة القدم بعطبرة ليتم إفتتاح دار الرياضة في يوم 4 مارس 1954م بتشريف السيد يحيى الفضلي وزير الشؤون الاجتماعية في ذلك الوقت وقد شارك فريق المريخ أم درمان في الإفتتاح ومنذ ذلك الوقت بدأت مدينة عطبرة المشاركة في المنافسات القومية؛ فكانت مشاركة كل من نادي الهلال والنسري في أول في أول بطولة لكأس السودان في العام 1955م والتي تأهل فيها الهلال تأهل لقبل نهائي الكاس أمام أهلي الخرطوم ليخسر بهدف دون مقابل.

وفي العام 1963م شهدت المدينة نقلة نوعية في مجال كرة القدم وذلك بتنفيذ إضاءة أستاذ المدينة كثاني أستاذ في السودان بعد أستاذ الخرطوم وقد كان رئيس الإتحاد آنذاك عبد الرحمن أحمد محبوب. لتتواصل مشاركات الأندية صعودًا وهبوطًا في المنافسات القومية ولعل أبرز هذه المشاركات كانت في نوفمبر 1964م حيث تأهل فريق الشاطئ إلى نهائي كأس السودان بملاقاة فريق الهلال أم درمان في وقتها حيث قدم فريق الشاطئ مباراة كبيرة أشادت به الصحف الرياضية ووقف نداءً قويًا لفريق الهلال ليخرج مهزومًا بهدف يتييم. وبالمقابل كان لأندية الأمير، المريخ، النيل، الأمل والشبيبة مشاركات مميزة في كأس السودان قبل أن تحدث أندية عطبرة تلك القفزة الكبيرة في خارطة الكرة السودانية بدخول أندية الأمل لمنظومة الدوري الممتاز في العام 2003م ليتبعه كل من أندية الأهلي والشمالى والفلاح:

نادي الأمل الرياضي:

يقع نادي الأمل في حي المورددة بعطبرة وقد كان تأسيسه في العام 1945/ 1946م وبعد مسيرة عطاء حافلة وإنجازات داوية داخل وخارج عطبرة؛ حُظي النادي في العام 2003م بمشرف أول فريق من مدينة عطبرة ينضم لمسيرة الدوري السوداني الممتاز. تميز نادي الأمل بقاعدة جماهيرية متفردة ما فتئت تؤازر الفريق في حله وترحاله وهو يجوب مناطق السودان المختلفة. ليتوج ذلك في موسم 2010/ 2011م عندما احتل الفريق المركز الرابع ممثلًا للسودان في منافسة الإتحاد الإفريقي (الكونفدرالية) ليلعب أولى مبارياته ضد الفريق الرواندي والذي فاز على الأمل في مباراة الذهاب بهدفين مقابل لا شئ ليفوز الأمل بنفس النتيجة في مباراة الإياب والتي أُقيمت باستاد عطبرة في 28 مايو 2010م بعد ملحمة كروية خالدة أظهرت أصالة قاعدة الأمل الجماهيرية في مساندة الفريق لتصل المباراة لركلات الجزاء الترجيحية والتي حُسمت للأمل ليصعد للمرحلة الثانية ويلتقي بفريق كوستا دي سول من دولة موزمبيق لتنتهي مباراة الذهاب لصالح الأمل بأربعة أهداف مقابل هدفين، وفي مباراة الإياب فاز الفريق الموزمبقي بثلاثة أهداف مقابل هدفين ليتأهل الأمل للمرحلة التالية لملاقاة فريق بلوزداد الجزائري لينتصر الأمل في مباراة الذهاب بهدف مقابل لا شئ ، وفي مباراة الرد فاز فريق بلوودداد بهدفين نظيفين ليخرج الأمل من البطولة مرفوع الرأس بعد أن أبلى بلاءً حسنًا ليجد استقبالاً كبيرًا في مطار الخرطوم.

سجل فريق الأمل اسمه بأحرف من نور في منظومة بطولة الدوري الممتازهما حققه من إنتصارات داوية لعل من أبرزها إنتصاره الشهير على المريخ العاصمي في موسم 2003م بهدف عبد الرحمن الفكي لتتوالى إنجازاته أمام قمتي الكرة السودانية الهلال والمريخ؛ ليكرر إنتصاره على المريخ العاصمي بهدف وذلك في موسم 2013م باستاد المريخ، ليتبعها تعادله الإيجابي مع المريخ بهدف لكل بعد أن كان الأمل متقدمًا حتى الدقيقة الثالثة من الزمن بدل الضائع في مباراة شهيرة أُقيمت باستاد بورتسودان في أعقاب حرمان الأمل من جمهوره من قبل الإتحاد السوداني لكرة

القدم عقابًا للفريق جزاء تصرفات بعض جماهيره. كما تعادل الفريق مع الهلال العاصمي أكثر من مرة لعل آخرها تعادله معه في موسم 2013 / 2014م.

نادي الأهلي الرياضي:

كانت بداية تأسيس النادي في العام 1951م وفي العام 1972م تم تجميد النشاط الرياضي للنادي ليتم فك تجميد الفريق و إعادة إعماده ضمن منظومة الإتحاد المحلي لكرة القدم بعطبرة في أعقاب إفتتاح دار النادي في مايو 2083م. وفي إنجاز يحسب للنادي صعد الفريق للدرجة الثانية في موسم 1996 / 1997م وفي الموسم التالي كان صعوده للدرجة الأولى، وفي الأعوام 2002م، 2003، 2004، 2005م فاز ببطولة دوري الدرجة الأولى بعطبرة ليتأهل الفريق لبطولة الدورة الممتاز في موسم 2005م. وشاءت الأقدار أنيتعثّر الفريق ويترجل عن بطولة الدوري الممتاز ويهبط للدرجة الأولى في موسم 2007م. ليصعد ثانية للدوري الممتاز في العام 2013م ليحقق في نفس الموسم إنجازًا تاريخيًا ويفوز بالمرکز الرابع في بطولة الدوري الممتاز ويحظى بتمثيل السودان في بطولة الإتحاد الإفريقي (الكونفدرالية) إلا أنه خرج من الدور الأول أمام فريق إم كي الكونغولي بالتعادل الإيجابي بهدف لكل فريق في مباراة الذهاب بالكونغو والتعادل السلبي في مباراة الإياب باستاد عطبرة.

نادي الشمالي الرياضي:

يقبع النادي في حي الإمتداد الشمالي بعطبرة، حيث كان تأسيس النادي في العام 1974م، لينضم لمنظومة أندية الدرجة الثالثة بالإتحاد المحلي لكرة القدم بعطبرة في العام 1990م وفي العام 1997م صعد الفريق للدرجة الثانية ليواصل إنجازاته ويصعد للدرجة الأولى عام 1999م ليحجز بطولة أندية الدرجة الأولى بعطبرة في العام 2007م.

شكل موسم 2008م علامة فارحة في تاريخ النادي وهو يصعد للدوري الممتاز، غير أن النادي لم يصمد كثيرًا في الدوري الممتاز ليهبط للدرجة الأولى في عام 2009م.

نادي الفلاح الرياضي:

تتشابه إلى حد كبير أسس تكوين الأندية الرياضية بعطبرة فمعظمها جاء نتاج تكاتف وجهود أهل الحي أو المنطقة التي يوجد فيها النادي وعلى هذا النحو تأسس نادى الفلاح الاجتماعى الثقافى الرياضى فى العام 1948م بمبادرة من بعض شباب منطقة كنور وهو من أقدم الأندية التي تأسست بشمال مدينة عطبرة. وبعد محاولات عديدة تحقق للنادي ما يتمناه وصعد للدوري الممتاز في موسم 2018م / 2019 لينضم إلى أندية الأمل والأهلي ليكون للمدينة بذلك ثلاثة أندية في الدوري الممتاز آنذاك، غير أن الفريق لميعمر كثيرًا فهبط من الدوري الممتاز في موسم 2021 / 20

لعبت الطرق الصوفية والخلوى دوراً مهماً في إنتشار التعليم بعطبرة إبان حقبة العقد الأول من القرن العشرين الميلادي.

فقد شهدت عشرينات القرن العشرين الميلادي قيام المدرسة الغربية الأولية بمنطقة السكة الحديد ثم أعقبها المدرسة الشرقية الأولية، ثم قامت المدرسة الجنوبية في حي المربعات والمدرسة الشمالية بنات بحي السوق. ومن المدارس التي نشأت في هذه الفترة مدارس الفجر والتعاون بحي المربعات ومدرسة الاصلاح في حي السوق ومدرسة السعادة بحي الداخلة.

هذا وتعد المدرسة الأميرية بحي السودنة بعطبرة أول مدرسة متوسطة بنين يتم تأسيسها بمدينة عطبرة لتتبعها المدرسة الأهلية المتوسطة في العام 1948م. وفي بداية الخمسينات من القرنالميلادي المنصرم تم إنشاء أول مدرسة متوسطة للبنات بعطبرة وهي الأميرية المتوسطة للبنات والقابعة بجوار كبري عطبرة القديم.

شهدت مدينة عطبرة إبان فترة الاستعمار الإنجليزي إنشاء العديد من مدارس الجاليات الأجنبية؛ حيث قانت مدارس الإرساليات الأمريكية والأمريكية ثم مدارس الأقباط بنات وبنين والتي توقفت في العام 1995م. وفي العام 2000م تم بيع مدرسة الأقباط الثانوية لجامعة وادي النيل. ل يتم تخصيصها لكلية الطب بالجامعة.

من جانب آخر فقد شهد العام 1948م بداية دخول التعليم الأهلي المصري لمدينة عطبرة ومن ثمّ تم إنشاء المدرسة الأهلية المصرية في العام 1963م وذلك في موقعها الحالي جوار ملعب نادي الشبيبة الرياضي. وفي العام 1953م تم إنشاء مدرسة عطبرة الصناعية. وفي العام 1954م كان تأسيس مدرسة عطبرة الثانوية الحكومية ذائعة الصيت والتي تأتي في الترتيب الخامس على مستوى المدارس السودانية، ويليهام بعام تم تأسيس مدرسة عطبرة الصناعية.

وفي العام 1966م نال الطالب محمود محمد شريف المرتبة الأولى على مستوى الشهادة الثانوية السودانية ليتبعه الطالب الطيب الريح والذي أحرز المركز الأول في العام 1974م وفي العام 1978م نال الطالب جمال عابدين حامد المرتبة الأولى بينما أحرز الطالب أحمد عبد الله محمد الحسن ذات المرتبة في العام 1993م. لتحرص الطالبة إسرائ صلاح المركز الأول على مستوى الشهادة الثانوية السودانية وذلك في العام 2019م. وبالمقابل وفي العام 1965م بدأ إنتشار التعليم الأهلي السوداني وذلك بإنشاء مدرسة الجلود الثانوية (حاليًا مدرسة عطبرة الثانوية الجديدة). وفي نفس العام أنشأت نقابة عمال السكة الحديد مدرسة العمال المتوسطة بنات. وفي العام 1967م شهدت المدينة قفزة كبيرة في التعليم حينما بادرت إدارة السكة الحديد بإنشاء ما عُرف بمدرسة الخدمات الاجتماعية تحت إدارة مدير مصلحة الخدمات الاجتماعية بالسكة الحديد طيب الذكر المرحوم محمد السيد الشعار حيث ضمت المدرسة عدة أنهر؛ ثم قسمًا متوسطًا للبنات والبنين. ونظرًا لما ظلت تعانيه مدينة عطبرة من عدم توفر مدارس ثانوية للبنات؛ حتى منتصف سبعينات القرن العشرين الميلادي؛ كان الإسهام المقدر للجنة القومية لتطوير عطبرة بقيادة الراحلالأمين محمد عبد المجيد وهي تقدم مشروع متكامل لإنشاء مدرسة ثانوية للبنات في العام 1988م ليلتقط القفاز

السيد كمال حمزة الحسن رئيس روابط أبناء عطبرة بدولة الإمارات العربية المتحدة والذي تكفل بتحمل تكلفة إنشاء المدرسة؛ فكان أن أوفى بوعده واقترح تسمية المدرسة مدرسة الشيخ حمد الثانوية بنات لتنتقل المدرسة الوليدة من نجاح لنجاح وتتعدد إنجازاتها لتحزرتحراز المرتبة الأولى على مستوالم مدارس الثانوية في الشهادة السودانية وذلك في العام 1996م. ليتوالى إنشاء العديد من المدارس الثانوية الأهلية منها مدرسة مدرسة الخدمات بنات ومدرسة الشهيد خالد خضر الثانوية بنات بحي الامتداد الشمالي، والمدرسة الثانوية الجديدة.

فيما يلي التعليم العالي؛ فالمدينة تحتضن إدارة جامعة وادي النيل والتي تأسست في العام 1990م؛ حيث كانت كليتي الهندسة الميكانيكية والتي تأسست في العام 1971م وكلية التربية هما النواة الأساسية للجامعة. وتطورت الجامعة وأصبحت تضم بالإضافة إلى كليتي الهندسة والتقنية وكلية التربية؛ كليات أخرى موزع بعضها في أنحاء ولاية نهر النيل وهي: الزراعة، الطب والعلوم الصحية، الإقتصاد والعلوم الإدارية، الشريعة والقانون، علوم الحاسوب وتقانة المعلومات، الآداب، المعلمين، بالإضافة إلى كلية المعادن وعلوم الأرض. فضلاً عن ذلك تضم الجامعة وحدة للتعليم المفتوح وعدد من المراكز البحثية. كما توجد بالمدينة جامعة عطبرة الأهلية الشهيرة التي تحتوي على العديد من الكليات في مختلف التخصصات الجامعية.

القطاع الصحي:

يعود إنشاء مستشفى عطبرة إلى العام 1908م ليجد كل الدعم والعون من إدارة السكة الحديد في ذلك الوقت باعتبار أن منسوبيهما يمثلون أغلبية مرتادي المستشفى والمستفيدين من ما تخدمه من خدمات صحية ولعله من أبرز ملامح هذا الدعم؛ توفير بعض منازل السكة الحديد للأطباء والكوادر الفنية المساعدة وتأمين الإمداد الكهربائي والمائي. ومع ازدياد القوى العاملة في المستشفى وظهور الاختصاصيين في مجال الجراحة والباطنية والنساء والتوليد؛ بدأ التوسع في مباني المستشفى فألحقت بها العديد من المباني؛ فأنشأت السكة الحديد مباني الصحة المهنية (الحميات حالياً) وأقامت مؤسسة الراحل محمد أحمد السلماي قسماً للأطفال، ثم أضاف السيد يس محمود قسماً جديداً للولادة لتجئ أكبر الدعومات للقطاع الصحي عبر لجنة تطوير عطبرة خلال العامين 1988/ 1989م وذلك بتأهيل المراكز الصحية بالمدينة، وإمداد مستشفى عطبرة بكمية من الأجهزة والمعدات الطبية بتبرع سخي من أبناء عطبرة بدول مجلس الخليج العربي ليتواصل الدعم من قبل روابط أبناء عطبرة من دولة الإمارات والسعودية بتأمين المزيد من المعدات والتي أسهمت في تطوير الخدمات الصحية والعلاجية بالمستشفى.

وبنهاية ثمانينات القرن العشرين الميلادي بدأت المرافق الصحية الخاصة في الظهور؛ حيث كانت البداية بمستوصف الحكمة بحي الدرجة، ومستوصف صيرة بحي الفكي مدني وسرعان ما تم إغلاق المستوصفين بعد فترة قصيرة من بداية عملهما. ليتبع ذلك إنشاء المستوصف القبطي بالسكة

الحديد. وفي مرحلة لاحقة تم تطوير عيادة الجيش إلى مستشفى القوات المسلحة بمعسكر الجيش الشرقي وتطورت بالمقابل عيادة الشرطة إلى مستشفى الشرطة ليقدم خدماته لكافة المواطنين بالمدينة. ومن أبرز التطورات في القطاع الصحي إنشاء مجمع التأمين الصحي بسوق عطبرة والذي تم تزويده وتجهيزه بالعديد من المعدات والتجهيزات الطبية الأمر الذي جعله مؤهلاً لتقديم خدماته الصحية لجميع المواطنين داخل وخارج عطبرة.

القطاع الصناعي:

يتمثل القطاع الصناعي لمدينة عطبرة بصورة أساسية في صناعة الأسمنت، حيث حُطيت المدينة بإنشاء أول مصنع للأسمنت في السودان في عام 1947 (مصنع أسمنت عطبرة) كقطاع خاص تحت مسمى أسمنت بورتلاند عطبرة وذلك بشركة مساهمة برؤوس أموال أغلبها أجنبية ويقع المصنع على بعد حوالي 2,5 كيلومتر جنوب كبرى نهر عطبرة وشرق نهر النيلين طريق الإسفلت الذي يصل مدينتي عطبرة والدامر. وفي عام 1970م (عهد مايو) تم تأميم المصنع وأطلق عليه اسم مؤسسة ماسيبو للأسمنت وأضيف إلى مؤسسات القطاع العام الصناعي.

في عام 1985م صدر قرار بتحويل اسم الشركة إلى شركة أسمنت عطبرة المحدودة. وفي العام 1993م حصلت الشركة على الجائزة الماسية للجودة من المكسيك، كما نال في العام 1994م جائزة النجم الذهبي العالمية في اسبانيا نتيجة الإنتاجية ذات الجودة العالمية. وفي أواخر العام 2002م تمت خصخصة الشركة وتم بيعها لمجموعة رجل الأعمال المعروف الشيخ سليمان الراجحي وقد بذلت مجموعة الراجحي جهداً مقدراً في سبيل ترقية العمل بالمصنع وحل كثير من المشكلات التي كانت تقف حجر عثرة في زيادة الإنتاج، وكان نتاج ذلك أن زادت إنتاجية المصنع وأصبح ينتج أكثر من 5700 طن من الأسمنت يومياً. ويوجد حالياً بجانب مصنع أسمنت عطبرة مصنعاً آخر للأسمنت وهو مصنع السلام للأسمنت. وبالمقابل توجد في عطبرة واحدة من أقدم محطات توليد الكهرباء بالسودان، تقع بجوارها المحطة الرئيسة لتوزيع الطاقة الكهربائية علي مستوى السودان بعد اكتمال سد مروحي.

الجاليات:

يتواجد بمدينة عطبرة عبر تاريخها ومنذ العقد الثاني من القرن العشرين الميلادي - في أعقاب الحرب العالمية الثانية - عدد من الجاليات؛ يبرز من بينها الجالية الهندية، اليمنية، الإغريقية بالإضافة للجالية المصرية.

الجالية الهندية بعطبرة:

بدأ دخول الهنود إلى مدينة عطبرة عبر أحد تاجر الأقمشة المعروف يُسمى هاريداس كارسنداس وذلك في ثلاثينيات القرن العشرين الميلادي، ليتبعه آخرون ويبرز من بينهم الحلاق الشهير شارترابورج رامجي. ويُعد ديرو جلال شاه (وهو أحد أبناء هاريداس كارسنداس) علامة فارقة في تاريخ الجالية الهندية بمدينة عطبرة؛ حيث أصبح جزءاً لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي

بالمدينة وهو يشارك مواطنيها في أفراحهم واتراحهم؛ الأمر الذي أكسبه محبة وتقدير جميع أهالي عطبرة كما ظل سنديًا وعوديًا لفئة المعاقين بمساعدة زوجته والتي توفرها الأجل المحتوم في العام 2010م، يقدمون بكل تجرد ونكران ذات كل ما يدخل البهجة والفرحة على المعاقين، وبالمقابل كانديرو جلال شاه يُخصص يوميًا وجبة إفطار لكثير من الفقراء بالمدينة. وظل ديرو شاه على هذا المنوال وجودها معه إلى أن غادر عطبرة في العام 2012م، حيث ودعته المدينة عن بكرة أبيها في يوم إنساني مشهود جسد أوامر الإخاء والعلاقات التاريخية المتينة التي تربطه مع أهالي مدينة عطبرة طوال أكثر من خمسين عامًا.

الجالية اليمنية بعطبرة:

مع بدايات القرن العشرين وفي العام 1905م بدأت أول رحلات اليمنيين من عدن إلى السودان للمساعدة في بناء ميناء بورتسودان في أعمال التشييد وأعمال الميناء من شحن وتفريغ ومنها بدأت هجرة اليمنيين إلى مدن السودان المختلفة ومنها مدينة عطبرة ليعيش عدد منهم بين أهالي عطبرة ردًا من الزمن في جو تسوده الإلفة والمودة والوئام وتوطدت العلاقات وتعززت الروابط الاجتماعية بين الطرفين. وكان للشيخ المرحوم محمد صالح السده الذي يعتبر أشهر شيوخ الجالية اليمنية الذين عاشوا في عطبرة؛ دور كبير في توطيد العلاقات بين الشعب اليمني وسكان مدينة عطبرة مما أكسبه تقدير واحترام أهالي عطبرة الأمر الذي جعل منه حلقة وصل بين اليمنيين والعطبريين في كل صغيرة وكبيرة. ومن قدامى اليمنيين الذين قطنوا عطبرة وظلوا منارات بالمدينة وامتد بهم العمر الشيخ سعد محمد يحيى والذي تجاوز عمره المائة عام عندما توفي ولا زال أبناؤه وأحفاده يقيمون بمدينة عطبرة.

عمل معظم اليمنيين بعطبرة في البداية كبائعي خبز وجالبي مياه ومنهم من تخصص في العمل بالمطاعم (صناعة الفول المصري). كما عمل عدد مقدر منهم في مجال التجارة لذا فقد فضل معظم اليمنيين السكن بحي السوق قرب موقع متاجرهم، كما تم توظيف عدد من اليمنيين بهيئة السكة الحديد. ونظرًا لطبيعة اليمنيين والتي كانت أقرب للطبع السوداني فقد كان من اليسير أن تتطور روابط الدم بينهم والسودانيين عبر عدد من الزيجات المتبادلة والتي ظلت باقية إلى يومنا هذا لم يعكر صفوها شيء. وعند اكتشاف البترول في اليمن في بداية ثمانيات القرن العشرين الميلادي بدأت الهجرة العكسية لليمنيين من مدينة عطبرة عائدين إلى بلدهم اليمن لتتأثر مدينة عطبرة بذلك فخفت حركة المدينة وأظلمت سماؤها المضيئة وعلتها سحابة من الحزن؛ كيف لا وهم بلا شك مثلوا جزء من تاريخ عطبرة الحديث أسهموا في تشكيل وجدان الإنسان العطبروي بنبههم وطهرهم وعفافهم.

الجالية المصرية بعطبرة:

كان أول إرتباط للجالية المصرية بمدينة عطبرة من خلال مساهمة العمال المصريون في بناء مباني السكة حديد حيث لا زال آثار المعمار المصري إلى يومنا هذا. وفي أعقاب ثورة 1924م

بقيادة البطل علي عبد اللطيف ورفاقه؛ سجلت الكتيبة العسكرية المصرية موقفًا تاريخيًا وهي تتمرد في ذلك الوقت وتقف بجانب جماهير المدينة المؤيدة للثورة بل شارك أفراد من الكتيبة في الاحتجاجات التي نظمها مواطني عطبرة، وكان جزءًا من ذلك أن استشهد عدد من أفراد الكتيبة المصرية في تلك الاحتجاجات، الأمر الذي دفع بالمستعمر لإنهاء خدمات الكتيبة العسكرية المصرية وإعادتها فوراً إلى مصر.

من جانب آخر فقد برز دور الجالية المصرية بوضوح في مجال التعليم؛ حيث أنشأ المصريون العدد من المدارس الابتدائية والإعدادية والتوجيهية حيث انتدب إليها نخبة مميزة من المعلمين المصريين وكان أن التحق بها الكثير من أبناء وبنات عطبرة. فضلاً عن ذلك من المهم الإشارة إلى بعثة الأزهر الشريف للوعظ والإرشاد والتي كانت تأتي لعطبرة كل عام قبل شهر رمضان المبارك.

بقي أن نقول أن المصريين من الجالية المصرية ربطتهم عواطف جياشة وعلاقات متينة مع مواطني مدينة عطبرة فأثمر هذا الترابط والتآخي عن بعض الزيجات الناجحة بين الطرفين.

الجالية الإغريقية بعطبرة:

يعود تاريخ الجالية الإغريقية بعطبرة إلى العام 1905م؛ عندما انتقلت رئاسة السكة الحديد من وادي حلفا إلى عطبرة؛ حيث صاحب ذلك وصول عدد من الجاليات الأجنبية وبضمنهم مجموعة من الأغاريق وأصبحوا جزءاً لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي بالمدينة، حيث اشتغل نفرٌ منهم بالسكة الحديد كما عمل البعض بمكتب الزراعة والصحة بالمدينة ومنهم من امتهنت التجارة. وظل أثر الجالية الإغريقية بعطبرة ممتداً حتى قيام الحرب العالمية الأولى 1914 - 1918م حين أثر عدوٌ منهم العودة إلى بلادهم. ومن رموز الجالية الإغريقية والذين تركوا أثراً اجتماعياً واقتصادياً ملموساً في عطبرة نذكر على سبيل المثال لا الحصر شكار غلو والذي كان يمتلك مصنعاً للزراير والتي كانت تُصنع من الدوم. وليوناردو سارقولوقس والذي كان مسؤولاً عن مكتب الزراعة بالمدينة والذي خلق بدوره علاقات وصلات وثيقة مع كثير من أهالي مدينة عطبرة، حيث كان يتبادل مع كثير منهم الزيارات والهدايا. كما نخص بالذكر أيضاً دكتور فتحي عثمان والذي كان يعمل طبيباً للأسنان وكان من عشاق كرة القدم حيث كان من مرتادي أستاذ عطبرة، كما عمل رئيساً لنادي المريخ بعطبرة فترة من الزمن علماً بأنه قد تزوج من امرأة سودانية.

خاتمة:

كانت هذه شذرات من تاريخ عطبرة المعاصر وبعض المحطات الثقافية والاقتصادية والرياضية لعلها لم تجد حظها في النشر. وتظل عطبرة المدينة الأكثر صلة بتاريخ السودان؛ تلك المدينة الشامخة المترابطة اجتماعياً ملء السمع والبصر والتي نالت السيادة والريادة على ساير مدن السودان، مدينة الحديد والنار، رائدة الكفاح عبر الأزمان، ومهد الحركة النقابية وصانعة الثورات وعرين الرجال، وهي ترسم لوحة زاهية في الصمود والنضال. وقد لعبت المدينة دوراً مهماً وحاسماً في نجاح ثورة ديسمبر 2018م؛ يوم أن غيرت مسار الاحتجاجات الشعبية آنذاك من مطالب معيشية إلى أخرى سياسية كانت نقطة الإنطلاق وشرارة الثورة لإسقاط نظام الإنقاذ.

المراجع :

- (1) حسن أحمد الشيخ (2015م). عطبرة أنشودة الصبر والصمود.
- (2) محمد سعيد القدال (2002م). تاريخ السودان الحديث. أم درمان: مركز عبد الكريم ميرغني.
- (3) محمد عمر بشير (1987م) تاريخ الحركة الوطنية. بيروت: دار الجيل.
- (4) الناصر عبد الله أبو كروك (2008م). عطبرة أم المدائن. مطبوعات العيد المئوي لمدينة عطبرة.
- (5) Edward M. Spiers (Hrsg.)(1998). Sudan. The Reconquest Reappraised. Routledge, New York



مدخل مدينة عطبرة



عطبرة - السكة الحديد



كبري عطبرة



عطبرة وثورة ديسمبر 2018م



نهر عطبرة

مدينة كسلا (1840 – 1940م)

محاضر – قسم التاريخ – كلية الآداب
جامعة أم درمان الإسلامية

أ. حسن أوشيك أوهاج إدريس

المستخلص:

سلطت هذه الدراسة الضوء على نشأة مدينة كسلا عام 1840م ثم تتبعت مسيرة المدينة في النمو والتطور خلال الحكم الثنائي حتى الغزو الإيطالي في يونيو 1940م. وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج: كان العهد التركي نقطة تحول في تاريخ كسلا حيث بدأ العمران والتطور. إن مدينة كسلا قامت على مجتمع خليط في تكوينه ضم الكثير من العائلات الوافدة من داخل وخارج السودان. إن موقع مدينة كسلا في مثلث بين البحر الأحمر وبلاد الحبشة ونهر النيل أكسبها أهمية كبرى لدى الصراعات الدولية والأطماع الاستعمارية.

الكلمات المفتاحية: كسلا، الجهادية، الحكم التركي، المهديّة، الحكم الانجليزي المصري

Abstract:

This study highlighted the eighth of the city of Kassala in 1840 and then the trait of the city trained in the growth and development during the bilateral judgment even the Italian invasion in June 1940. FoundStudy into several results: The Turkish Covenant was a turning point in the history of Kassla where the urban and development was started. The Kazala City has been a mixture of his mix in a composition of many of the families of the wage and inside the Sudan. The location of the city of Kassala in the troide between the Red Sea, the Al-Sayyeda and the Nile River also earned a great importance in international conflicts and colonialism.

Keywords:Kassala, Jihadi, Turkish Governance, Mahdia, Egyptian Governance

مقدمة:

ظل شرق السودان بعيداً عن الحكم التركي المصري الذي امتد إلى البلاد منذ 1821م ولم تتجه إليه أنظار الحكومة إلا عام 1831م حينما أعدَّ خورشيد أغا حملة قوامها ستة آلاف رجل لضم إقليم التاكا واتخذ السبدرات⁽¹⁾ هدفاً له. ولقد واجهت الحملة مقاومة شرسة من السكان أفضت إلى مقتل ألف وخمسمائة جندي فضلاً عن استيلاء الأهالي على اثنين من مدافع الميدان مما أجبره للعودة للخرطوم دون تحقيق آماله.⁽²⁾ وفي عام 1839م تولى أحمد باشا أبو ودان حكمدارية السودان. ولم يمض أكثر من عام واحد استتباب الأمر له حتى هم بضم شرق السودان.⁽³⁾ وشرع في مصادر الحمير من سكان الخرطوم وضواحيها، وأعطى كل جندي حماراً من أجل وصول جنوده في لياقة عالية ثم قاد الجيش بنفسه إلى بربر ومنها إلى قوز رجب⁽⁴⁾ ثم بعث رسله إلى مشايخ البجا وهم الشيخ عوض محمد مسمار زعيم قبيلة الحلنقة، والشيخ محمدين زعيم قبيلة الهدندوة، والشيخ قلب شو زعيم قبيلة البشاريين حيث ذهب الزعيمان محمدين وقلب شو وقدموا فروض الولاء والطاعة⁽⁵⁾ بينما رفض الشيخ عوض مسمار مقابلة الحكمدار وقال مقولته الشهيرة: «... أنا عشت طول عمري حراً فهبهات أن أكون خادماً للأتراك»⁽⁶⁾. وعلى ضوء ذلك اضطر الحلنقة إلى إرسال وفد من وجهاء القبيلة بقيادة محمد إيلا بابكر مالك، فقام بأداء فروض الولاء والطاعة ثم انطلق مع الحملة إلى كسلا والتي لم تكن مدينة تخضع لنظم وإدارات، وإنما كان قوامها قطاوي الحلنقة المبنية من القش والأعواد.⁽⁷⁾

تطور مدينة كسلا عام 1840م:

نتيجة للتطورات السياسية والإدارية التي انتظمت شرق السودان عقب سيطرة الإدارة التركية المصرية خطت كسلا أولى خطواتها في الطريق نحو المدينة. وبدأ العمران بإنشاء حامية الجيش التركي نظراً لموقعها بالقرب من جبال الناك، ومتاخمتها للحبشة الأمر الذي ركز الناحية العمرانية في الجانب العسكري إقامة الحصون والاستحكامات والنقاط العسكرية. غير أن اختيار كسلا مركزاً للمديرية الشرقية قلل التركيز على جانب البناء العسكري وجذب اهتمام الحكام إلى مظهر المدينة العمراني حيث قامت مباني الأجهزة الإدارية من الطوب الأحمر بينما بدت للأنظار أكواخ الحلقة المبنية من القش في أحياء مبعثرة حول مقر السلطة الجديدة⁽⁸⁾ وكان من ضمن الأعمال التقدمية المستخدمة أن فتحت فيها لأول مرة مدرسة نظامية للتعليم المدني الحديث في يونيو عام 1863م داخل سور الحامية وكانت تسير على المنهج المصري، وحددت أهدافها في تكوين طبقة مثقفة من أبناء زعماء القبائل والجاليات الوافدة ومن ثم التحق بها عبد القادر محمد إيلا بابكر نجل أول ناظر للحلقة في التركية ومحمد موسى إبراهيم ابن زعيم الهدندوة ومحمد حامد ابن زعيم النبي عامر.⁽⁹⁾ وفي عام 1880م شيد جامع الحلقة العتيق من اللبن (الطين)، ويعد أول جامع، في المدينة ظل يؤمه السكان في الجمعة.⁽¹⁰⁾ تلا ذلك إنشاء مدرسة لتدريب التليغراف عام 1870م.⁽¹¹⁾ وأخذت المدينة تنمو نمواً مضطرباً في مدى الخمس وعشرين عاماً الأولى من الحكم التركي فأقيم فيها سوق مزدهر بالتجارة وشيدت دواوين الحكم، وثكنات الجيش بالأجر والحجر وانتظمت الأعمال الديوانية في دواوين الحكومة وأصبحت ذات حيوية كبرى تمارس فيها جميع الأعمال العمرانية والحضارية وبالتالي جذبت إليها أعداد كبيرة من الناس سواء كان من مناطق السودان المجاورة أو خارج البلاد، ذلك للخدمة في أعمال الدولة أو التجارة أو الزراعة حيث أصبحت مدينة عامرة قياساً بتطور ذلك الزمان.

ولقد ضمت خلال هذا المرحلة بجانب الحلقة سكانها الأصليين عناصر مختلفة مثل الشايقية والجعليين والأترك والمصريين والمغاربة، واليمنيين والحضارمة والحجازيين والإغريق وغيرهم.⁽¹²⁾

أحداث الثورة المهديّة في مدينة كسلا:

ظلت مدينة كسلا بمنأى عن أحداث الثورة المهديّة التي اندلعت عام 1881م حيث فتحت الأبيض على يد الأنصار سنة 1883م عندئذ هاجر عثمان دقنة⁽¹³⁾ إلى الأبيض وأخذ البيعة على المهدي فولاه على إمارة شرق السودان التي تضم كسلا وملحقاتها.⁽¹⁴⁾ وخرج الأمير عثمان دقنة يحمل خطابات تأميره لكل القبائل والشخصيات المهمة، لا سيما أسرة المراغنة فإن المهدي خص السيد محمد عثمان بن الحسن الميرغني بخطاب جاء فيه: «... لا حضرتم للهجرة ولا حصلت منكم غيرة للدين بأعمال حركة في جهتكم، ولا أدري ما هو المانع لكم في ذلك، مع أنكم أولى

بالفرح بنا وإجابتنا ونصرة دين الله تعالى من كل أحد فما الذي أخرجكم حتى فاتكم العوام وأنتم العارفون أولو الشرف والمقام...» حيث فهمت جميع ما ذكر فلا عذر لك في أحد أمرين إما أن تهاجر إلينا من غير التفات إلى الثقل المعوق عند الله، إما انضم أنت ومن معك إلى الطاهر المجذوب وعثمان دقنة وتكون معهم يداً واحدة»⁽¹⁵⁾. ولما وقف الميرغني على خطاب المهدي له رأى أن يثير ويحرض القبائل الخاضعة لتأثير الطائفة الختمية وهي تشمل الحلقة والنايتاب والحممرن والمهيتكناب والسبدرات فأرسل يدعو إلى اجتماع عام تحت سفح الجبل وعندما حضر أعيان هذه القبائل طلب منهم الإعراض عن دعوة المهدي، وليس ذلك فحسب بل طاف خلال الفترة ما بين (1883 - 1884م) يحذر الناس من المهديّة وينشر بينهم أنها دعوة كاذبة وعليهم دعم الإدارة التركية.⁽¹⁶⁾ وفي الجهة الأخرى دلف مصطفى على هدل⁽¹⁷⁾ نحو سواكن عند ما بلغه خبر عثمان دقنة وكانت بينهما علاقة تجارية قبل قيام الثورة المهديّة وبإبعه باسم المهدي فكتب إليه عثمان دقنة بالإمارة على كسلا ومحاصرة⁽¹⁸⁾ حاميتها حتى تخضع له. فحمل خطابه وأتى به إلى بلدة فلك⁽¹⁹⁾ مركز دعامة قبيلة الهدندوة وجمع جيشاً كبيراً من سكانها ثم زحف به نحو مدينة كسلا واتخذ منطقة جمام الواقعة شمال كسلا معسكراً له.⁽²⁰⁾ واستمر القتال سجلاً بين الطرفين حيث تمكن الثوار من هزيمة جنود الحكومة وضرب الحصار حول المدينة وتحصن المدافعين عنها داخل حصونهم حتى نفذ منهم القوات⁽²¹⁾، ولم يبق لهم سوى الجلود القديمة والأشياء المسترذلة وصار يموت منهم في اليوم أربعين نفساً أو أكثر واشتد البأس بمدير كسلا أحمد عفت ورجال المديرية فقررروا أن يعرضوا على المهدي التسليم لمؤد منه خوفاً من غائلة انتقام المحاصرين إذا هم سلموا، فأرسل المهدي وفداً برئاسة الحسين إبراهيم الزهراء⁽²²⁾ حيث تم التسليم يوم 1885/7/29م⁽²³⁾ وجاء خبر التسليم وخضوع مدينة كسلا إلى المهديّة بعد وفاة المهدي وارتقاء الخليفة بقليل، وعلى الفور أمر الخليفة حسيناً بتسليم الأمر إلى عثمان دقنة الذي تقع كسلا في إطار عمالته والعودة إلى أم درمان، غير أن الموقف كان منذراً بهجوم على المدينة من قبل الحبشة لدعم المحاصرين في كسلا ووقع الهجوم فعلاً يوم 23 سبتمبر 1885م لكن بعد فوات الأوان، وفي كوفيت⁽²⁴⁾ بعيداً عن كسلا نفسها وزاد التوتر بين الحبشة المهديّة.⁽²⁵⁾ وبعد هذه الواقعة عاد الأمير عثمان دقنة إلى كسلا ثم تحرك بجيشه نحو حي الختمية وبوصوله إليها شرع الأنصار في هدم المنازل وحطموا جامع المراغنة وقبة السيد الحسن، وسلبوا ما وقع على أعينهم من الرياش والتحف والفراش ثم أضرموا النار في المباني وخرج منها الأمير عثمان دقنة بعد أن أخلاها من السكان وفرض حظراً على زيارتها وأصدر مرسوماً يعاقب كل من يزور الختمية بسبع وعشرين جلدة وما بين عشية وضحاها اندثرت أهم معالم المدينة فيها.⁽²⁶⁾ ولم تشهد مدينة كسلا طوال عهد المهديّة تطوراً عمرانياً وذلك نسبة لطبيعة الثورة المهديّة الدينية فضلاً عن حرصها على القضاء على كل المعالم التي خلفها الحكم التركي المصري. ومع بداية انحدار مؤشرات الولاء للمهديّة نحو اليهود في شرق السودان

أبرمت إنجلترا مع إيطاليا يوم 15 أبريل عام 1891م سمحت لها بموجبها احتلال مدينة كسلا والأراضي المتاخمة لها شريطة أن تسلمها للإنجليز والمصريين يوم تزحف عليها قواتهم⁽²⁷⁾ وأتاح للإيطاليين الفرصة التي كانوا يترقبونها استدعاء أحمد فضيل وكل قواته من عمالة الشرق إلى أم درمان في مايو سنة 1894م، وبقي الأمير مساعد قيدوم في كسلا بحامية قليلة العدد، حيث تم الهجوم يوم 17 يونيو 1894م بنجاح حسام وانتهى الأمر بهروب مساعد قيدوم ووقوع كسلا في قبضة إيطاليا، والأمر الذي ينبغي التوقف عنده أن خبر سقوط كسلا في أيدي الطليان وقع وقوع الصاعقة على الخليفة عبد الله التعايشي في أم درمان، فيقال أنه نهض واقفاً عندما بلغه الخبر واستل سيفه وامتنى صهوة جواده ونزل به في النيل نحو الشرق وهو يكبر على الطليان والزبد يتطاير منه غضباً، ولكن بعد فترة استطاع أنصاره أن يعيدوه إلا أنه ظل حانقاً ومشغول التفكير بمدينة كسلا ثم زاد من حنقه وصول عامله المهزوم (مساعد قيدوم) فأطلق عليه الخليفة لقب حليلة.⁽²⁸⁾

تطور كسلا في الحكم الثنائي:

تنفيذاً للاتفاق المسبق بين إنجلترا وإيطاليا زحف بارسونز باشا من سواكن على رأس قوة مصرية واستلم مدينة كسلا يوم 25 ديسمبر عام 1897م رافعاً العلم المصري على سرايا المديرية.⁽²⁹⁾ وفي 25 ديسمبر أي بعد خمسة أيام من السيطرة على المدينة شرع الغزاة الجدد في إنشاء أورطة العرب الشرقية وهي أول كتيبة تعتبر النواة الأولى للقيادة الشرقية وضمت قبائل البجا مثل الهدندوة والحلنقة والبنبي عامر وغيرهم⁽³⁰⁾ ثم زار المدينة سردار الجيش المصري كتشنر باشا بعد توقيع اتفاقية الحكم الثنائي يوم 19 يناير عام 1899م ورفرف العلمان البريطاني والمصري إيداناً ببدية حكم جديد تقاسم سلطاته الدولتان. والجدير بالإشارة أن إدارة الحكم الثنائي سارت على النمط التركي بتقسيم السودان إلى مديريات بلغ عددها ست في مطلع العام 1899م من ضمنها مديرية كسلا التي كانت تضم القضارف ومنطقة القاش وبادية البحر الأحمر. وكما هو معلوم كان مدير المديرية على قمة الهرم الإداري يساعده مفتشان كانا من البريطانيين، ثم المأمور ومعه معاونان وهؤلاء من المصريين وبعدهم تأتي سلطة زعماء وشيوخ القبائل حيث أقرت السلطات الجديدة لكل قبيلة ناظرها بنظام الوراثة الذي كان سائداً خلال العهد التركي⁽³¹⁾.

عملت إدارة المديرية على تطوير المدينة، وبدأت بالخدمات الطبية وكان الجيش الغازي مصطحباً معه مجموعة من الأطباء العسكريين وبالتالي افتتح مستشفى كسلا التعليمي عام 1902م⁽³²⁾ ثم اتجه اهتمام السلطات إلى إنعاش السواقي ومنحت الأراضي التي تقام عليها مجاناً للمجموعات التي وفدت إلى كسلا من شمال السودان، وقدمت لهم إعانات مالية ليتمكنوا من الحصول على المعدات اللازمة لقيام السواقي، وبحلول عام 1911م بلغ تعداد السواقي مئة وإحدى عشرة ساقية.⁽³³⁾ وفي عام 1914م افتتحت مدرسة كسلا التي عرفت بأسماء عديدة منها: مدرسة

كسلا الأولية، ومدرسة كسلا الأم، ومدرسة كسلا الأميرية الأولى، وكان أول ناظر لها هو الأستاذ عبد الله محمد صالح الحلنقي (1915 - 1940م) الذي تلقى برقية تهنئة من مدير المعارف لتفوق مدرسته في الامتحانات النهائية لعام 1938م.⁽³⁴⁾ ومن جانب آخر وفدت مجموعات من الهنود عن طريق سواكن عام 1918م بغرض مزاوله النشاط التجاري وعملوا في تجارة الأقمشة والاعطور بسوق المدينة وعاشوا في أجزاء متاجرهم الخلفية⁽³⁵⁾.

كما اتجه تفكير إدارة المدينة إلى إنشاء منصب عمدة لمدينة كسلا للحد من غلو الناظر جعفر شيكلياتي الذي كان يجاهر بعدائه إنجليز حيث تشير الوثائق إلى أن السلطات استقدمت الشيخ أحمد جعفر من قوز رجب عام 1920م لشغل هذه الوظيفة وأشاد به مستر بيالي (Bally) مدير كسلا واعتبره أكثر الأشخاص كفاءة لتولي رئاسة مجلس المديرية ومنحه هو وبقية الأعضاء عشرة قروش عم كل جلس تعتمد بالمجلس.⁽³⁶⁾ ووصل في العام 1924م خط السكة حديد حيث ربط المدينة ببورتسودان ثم امتد ليربطها بمناطق الجزيرة وغرب السودان في عام 1929م فتوالت هجرات سكانية مختلفة للعمل كموظفين بالدولة أو تجار أو مزارعين.⁽³⁷⁾ وفي عام 1928م أنشأ نادي الميرغني الرياضي تحت رعاية محمد عثمان بن أحمد الميرغني واحتل مساحة كبيرة في الحياة الاجتماعية والثقافية في المدينة، ثم بدأ النادي في التطور على يد طلعت فريد الضابط برتبة ملازم ثاني وقتها بالقيادة الشرقية وقد بذل جهداً في إعادة تنظيم النادي، فوضع له دستور، وانتخب لجنة تنفيذية من قبل جمعية عمومية، وحصر اللاعبين في أرانيك، وتوجت جهوده بتسجيل النادي بالاتحاد السوداني لكرة القدم في مايو 1938م.⁽³⁸⁾

كذلك تمت إحالة عدد كبير من عساكر الأورطة الشرقية للمعاش خلال عام 1930م فمحتهم إدارة مديرية كسلا أراضي زراعية مكافأة على خدمتهم مما شجعهم على الاستقرار والإقامة بالمدينة⁽³⁹⁾. أيضاً وضعت الحكومة مشروع لتخطيط السوق وإعادة تنظيمه مراعاة للناحية الصحية وتجميلاً لمظهر المدينة وتم تنفيذ المشروع عام 1936م، تلا ذلك دخول الكهرباء بالمدينة.⁽⁴⁰⁾ ويصور سيرقوين بل ملامح السوق المدينة قائلاً: «... سكان المدينة وزائروها من رجال القبائل كانوا يحصلون على احتياجاتهم منه، ويعمل فيه عدد من التجار ممن نزحوا إليه من شمال السودان من دنقلا، وحلفا، وبربر يبيعون في حوانيتهم ملح الطعام والسكر والبن، والصابون وبعض الأقمشة القطنية، بالإضافة إلى السروجيون الذين يصنعون سروج الخيل، وصانعو الأحذية (المراكيب) الحمراء الفاقعة اللون ... وزرائب الذرة وأكشاكاً للحدادة، وتشتم رائحة البخور والبهارات وأنت تخترق السوق»⁽⁴¹⁾. بالإضافة إلى ما سبق وفدت بعض الهجرات الإفريقية في شكل جماعات مثل البرقو، والبرنو، والهوسا، والذين مارسوا النشاط الزراعي في منطقة السواقي، ومثلوا العنصر الغالب في منطقة غرب القاش. والجدير بالذكر أن هؤلاء كانوا في الأساس حجاج وفدوا إلى مدينة كسلا في طريقهم إلى مكة أو عائدين منها وأقاموا بغرض العمل لتوفير المال اللازم لرحلتهم سواء كانت نحو الشرق إلى مكة أو نحو الغرب لمواطنهم.⁽⁴²⁾ وذكر الرحالة بوركهارت أن الطريق الذي يمر عبر التاكا إلى سواكن يعد من أخطر طرق الحجيج من هؤلاء القوم، وقدر المسافرين به بنحو خمسة آلاف سنوياً⁽⁴³⁾. وواضح أن هذه المجموعات أقبلت إلى الاستقرار في المدينة بصورة أكبر بعد توسع الحكومة في زراعة القطن بدلتا

القاش عام 1922م إذ لم يزيد عددهم قبل ذلك وتحديداً حتى عام 1910م عن الألف نسمة⁽⁴⁴⁾. وأياً كان الأمر فإن مدينة كسلا على مدار الفترة (1840 - 1940م) لم تتجاوز الأحياء الآتية:

حي الحلنقة:

يقع شمال المدينة، ويعد الأساس الذي قامت حوله مدينة كسلا، إذ كان قائماً يوم زحفت الجيوش التركية المصرية إلى بلاد التاكا عام 1840م⁽⁴⁵⁾ وكانت كل مبانيه من القش غير أنه شهد تطوراً ملحوظاً خلال فترة الحكم الثنائي حيث بذل المسؤولون مجهوداً في تنظيم الحي بعمل مصارف لمياه الخريف، وقاموا بردم البرك وبناء مراحيض فضلاً عن منع سكانه من حفر الأرض لاستخدام الرمل في صيانة منازلهم. وفي عام 1910م صدر قرار يتضمن ما يلي:

- حظر زراعة المحاصيل المطرية قرب المنازل.

- بناء حظائر الماشية بعيداً عن المنازل.

- أوكل أمر نظافة الحظائر لأهلها بعد أن أعدوا لهم أماكن لحرق الأوساخ.⁽⁴⁶⁾

حي الختمية:

يقع تحت سفح جبال التاكا، وأصل هذا الحي هو قرية الدبور موطن الفيكي يعقوب بن مالك الحلنقي خليفة الطريقة القادرية والزعيم الديني للحلنقة. وفي عام 1818م حل السيد محمد عثمان الميرغني ضيفاً على الحلنقة وكمظهر من مظاهر الاحترام والتقدير باعتباره زعيم ديني منحه أعيان الحلنقة قطعة أرض صغيرة لبناء مسجده في هذه المنطقة وأطلق عليها السنية إلا أن الميرغني غادر إلى مكة ثم جاء ابنه الحسن أبو جلابية لنشر الطريقة الختمية واستقر في قرية السبدرات. وحدث اندلاع ثورة الجهادية السود بكسلا عام 1865م واستنجدت الإدارة التركية بالسيد الحسن الذي نجح في إخماد الثورة لما له من نفوذ ديني عظيم، وبقي بعد ذلك بالمدينة فترة أخذ خلالها يردد على مسامع الحلنقة بأنه لا يستطيع الاستقرار في كسلا لأنه لا يملك أرضاً بها ولا زرعاً. وعلى أثر ذلك اجتمع أعيان الحلنقى وقرروا منحه هذه المنطقة التي عرفت بحي الختمية وعرضوا أمر هذه الهبة على مدير المديرية عام 1867م فأقرها شفاهة إلا أن السيد الحسن توفي في العام التالي⁽⁴⁷⁾. وفي عام 1884م قام السيد محمد عثمان (الأقرب) بن السيد الحسن أبو جلابية ببناء مسجد وقبة على قبر والده أصبحت مزاراً لمديرية ثم هاجر إلى هذا الحي عدد من المراغنة فتوسط حوش المراغنة وقامت على الأطراف منازل أتباعهم بالإضافة إلى مسكان الحلنقة التي كانت موجودة أصلاً وصارت الختمية المركز الأول للطائفة الختمية⁽⁴⁸⁾.

حي الكارا⁽⁴⁹⁾:

أسس في العهد التركي كسكن للضباط واتسم بمبانيه العسكرية ثم اتخذه الإنجليز مقراً للإداريين البريطانيين وموقعة شمال غرب السوق كسلا، وكان عدد المنازل به عام 1939م مئة وخمسين منزلاً يسكنها مئتي شخص ويعد أرقى أحياء مدينة كسلا والوحيد الذي صنف من أحياء الدرجة الأولى⁽⁵⁰⁾.

حي غرب القاش:

نشأ خلال العهد التركي على الشاطئ الغربي لنهر القاش وسكنه الجهادية السود الذين سرحوا من الجيش التركي المصري وضم عناصر مختلفة من الفور، والشلك والدينكا والنوبة. وقد

اتسع في الحكم الثنائي حيث نزحت إليه جماعات من الهوسا والبرنو وكانت كل مبانيه من القش⁽⁵¹⁾.

حي الميرغنية:

من الأحياء التي قامت مطلع الحكم الثنائي، وامتد جنوب السوق وبلغ عدد مساكنه ألف وخمسمائة وسبعة وثلاثون منزلاً، يقطنها حوالي ستة آلاف شخص شيدت معظم مبانيه من القش⁽⁵²⁾.

حي الهنود «الحلة الجديدة»:

نشأ هذا الحي خلال الحكم الثنائي في المساحة الممتدة شرق سوق المدينة وهو موطن أفراد أفراد الجالية الهندية، وكانوا يعيشون في أجزاء متاجرهم الخلفية بالسوق وبالتالي تم إبعادهم إلى حي الكارا لكن تمديد مبانيهم على جانبي الطريق الرئيس المؤدي إلى السوق وعدم تشييدهم لها بطريقة غير منتظمة جعل المسؤولين بالمديرية يعرضون عليهم قطع سكنية من الدرجة الثالثة في هذا الموقع وشيدوا مبانيهم من اللبن (الطين)⁽⁵³⁾.

حي السكة حديد:

نشأ في الضفة الغربية لنهر القاش بالقرب من موقع محطة السكة حديد وخصص لسكن الموظفين والعمال بمصلحة السكة حديد.

الخاتمة:

لقد تناولت في هذه الدراسة نشأة مدينة كسلا تحت الحكم التركي المصري ثم تطرقت إلى أهم المؤسسات والمرافق الخدمية التي نشأت والهجرات البشرية التي شكلت مجتمع المدينة.

النتائج:

ومن خلال هذه الدراسة توصلت إلى عدة نتائج:

1. كشفت الدراسة أن أول عهد كسلا بالبناء والعمران كان خلال العهد التركي المصري ثم استمر التطور تحت الإدارة الثنائية.
2. تبين أن مدينة كسلا قامت على مجتمع خليط في تكوينه ضم الكثير من العائلات الوافدة من خارج وداخل البلاد بجانب الحلقة أهالي المنطقة.
3. اتضح أن موقع مدينة كسلا في مثلث بين البحر الأحمر وبلاد الحبشة ونهر النيل أكسبها أهمية كبرى لدى الأطماع الاستعمارية في الصراعات الدولية.
4. تبين أن المجموعات التي هاجرت إلى المدينة لعبت دوراً، إلا أن إسهام أبناء الشمال السودان كان بحظ أوفر حيث أنعشوا الزراعة البستانية بإقامة السواقي التي أعطت المدينة طابعاً سياحياً وشهرة على نطاق واسع.

التوصيات:

1. أوصي مجتمع مدينة كسلا بالبعد عن العصبية القبلية في ممارسة العمل السياسي.
2. أوصي بإقامة محاضرات تنويرية لبث وإحياء الروح القومية والوطنية السودانية في مجتمع مدينة كسلا.

الهوامش

- (1) السبدرات: قبيلة تستوطن شرق مدينة كسلا في منطقة جبلية.
- (2) على تخوم العالم الإسلامي، ترجمة ريتشارد هل، وعبد العظيم عكاشة، ج2، الطبعة الأولى 1981م، ص55.
- (3) نعوم شقير: تاريخ السودان (تحقيق محمد إبراهيم أبو سليم، بيروت، دار الجيل، 1981م، ص222.
- (4) على تخوم العالم الإسلامي، المرجع السابق، ص133.
- (5) محمد الأمين شريف: تاريخ مدينة كسلا، تحقيق: حسن أبو عائشة، الرياض، دار شرف تيقا، الطبعة الأولى 1996م، ص44.
- (6) محمد صالح ضرار: تاريخ شرق السودان، ج2، القاهرة، دار الاتحاد العربي للطباعة 1992م، ص55.
- (7) محمد الأمين شريف:
- (8) خديجة عثمان زروق: تاريخ مدينة كسلا في العهد الثنائي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الخرطوم، كلية الدراسات العليا، 1977م، ص29.
- (9) محمد الأمين شريف، مرجع سابق، ص
- (10) محمد عمر بشير: تطور التعليم في السودان، ترجمة هنري رياض وآخرون، بيروت، دار الثقافة، 1970م، ص44.
- (11) وثيقة قديمة بحوزة الشيخ حسين إسماعيل شنيعة، إمام جامع الحلقة العتيق بحي الحلقة، مدينة كسلا.
- (12) محمد الأمين شريف، مرجع سابق، ص30.
- (13) عثمان دفنة: ينتمي أصلاً ونسباً إلى الدقناب وهم سلالة رجل كردي من ديار بكر هاجر إلى شرق السودان وصاهر هندنوة .
- (14) عبد الغفار محمد علي: الحركات الدينية والقبلية المعارضة للمهدية، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الآداب، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، 1990م، ص62.
- (15) محمد إبراهيم أبو سليم: الخصومة في مهدي السودان، الخرطوم، مركز أبو سليم للدراسات، الطبعة الأولى، 2004م، ص335.
- (16) إبراهيم فوزي باشا: السودان بين يدي غردون وكتشنر، ج1، الخرطوم، الدار السودانية للكتب، الطبعة الأولى، 2010م، ص179.
- (17) مصطفى علي هدل: هدل تعني الأسود بلهجة البجا كناية عن لون البشرة وكانت حرفته صنع أسورة العاج للنساء بمنطقة الدقا ضواحي تسنى.
- (18) فلل: تقع في منطقة القاش شرق مدينة وقر.
- (19) نعوم شقير: تاريخ السودان، مرجع سابق، ص583.
- (20) ب. م. هولت: المهدي في السودان، ترجمة هنري رياض وآخرون، مكتبة الخرطوم، 1959م، ص62.
- (21) الحسين إبراهيم الزهراء: تخرج في الأزهر الشريف وعاد إلى السودان وأنشأ مدرسة بقريته أم عضام في الجزيرة ثم التحق بالمهدي وتولى القضاء وكان اختياره في هذه المهمة تظميناً للمستلمين لأنه عالي مكانة لا يتوقع منه طيش .
- (22) محمد إبراهيم ابوسليم: مرجع سابق ص545
- (23) كوفيت: منطقة تقع على الحدود السودانية الارترية

- (24) نعوم شقير: مرجع سابق ص ٦٥١
- (25) محمد الأمين شريف: مرجع سابق ص ١٥٢-١٦٥
- (26) ب. م. هولت: مرجع سابق ص ٢٢٠
- (27) محمد الأمين شريف: مرجع سابق ص ٢١٢
- (28) السر سيد أحمد العراقي: مرجع سابق ص ٢١٤
- (29) عمر النور أحمد: شجذرات من سجل التاريخ العسكري ج ١ الخرطوم مطبعة الجودة! الطبعة الأولى 2012م ص ٢٤
- (30) أحمد مصطفى أحمد ضقيل: تاريخ مدينة كسلا (١٨٤٠-١٩٥٦) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النيلين، كلية الآداب، قسم التاريخ، ٢٠٠٨م ص ١٣٦
- (31) نفس المرجع السابق ص ٥٤
- (32) خديجة عثمان زروق: مرجع سابق ص ٩٨
- (33) نفس المرجع السابق، ص ٧١
- (34) السر سيد أحمد العراقي: مرجع سابق ص ٢١١
- (35) وثيقة بحوزة ناظر قبيلة الحلقنة الشيخ مراد جعفر علي شكيلاي، كاتبها المرحوم حسن علي شكيلاي تاريخها يوم ١٩٢٧/٩/١٥م.
- (36) أحمد مصطفى أحمد ضقيل: مرجع سابق ص ١٠٤
- (37) السر سيد أحمد العراقي: مرجع سابق ص
- (38) أحمد مصطفى أحمد ضقيل: مرجع سابق ص ٩٠
- (39) خديجة عثمان زروق: مرجع سابق ص ٣٥
- (40) سير قوين بل: إدارة السودان في الحكم الثنائي (إعداد بشير محمد سعيد) الخرطوم، دارجامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، ص ٤٠
- (41) خديجة عثمان زروق: مرجع سابق ص ١٥٧
- (42) جون لويس بوركهارت: رحلات بوركهارت في النوبة والسودان، (ترجمة فؤاد أندراوس) مطبعة المعرفة ١٨٢٢م ص ٣١٥
- (43) خديجة عثمان زروق: مرجع سابق، ص ١٥٧
- (44) عبدالكريم إسماعيل ديريا: مدينة كسلا نشأتها وتطورها (١٧٢٨-٢٠٠٠م) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النيلين، كلية الآداب، قسم الجغرافيا ٢٠٠١م ص ١١٢
- (45) أحمد مصطفى أحمد ضقيل: مرجع سابق ص ٣٧
- (46) خديجة عثمان زروق: مرجع سابق ص ٥٣
- (47) إسماعيل عبدالكريم ديريا: مرجع سابق ص ١١٤
- (48) الكارا فرقة سودانية تعمل في الجيش التركي
- (49) أحمد مصطفى أحمد ضقيل: مرجع سابق ص ١٠٧
- (50) خديجة عثمان زروق: مرجع سابق، ص ٦٥
- (51) عبد علي حامد العبادي: أمطاط المدن الكبرى في السودان، المنظمة العربية للثقافة والتربية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٠م ص ٤٧
- (52) أحمد مصطفى أحمد ضغيل: مرجع سابق، ص ١١١
- (53) خديجة عثمان زروق: مرجع سابق، ص ٥٦

لمحات من تاريخ القضارف (1504 - 1885 م)

أستاذ مشارك - قسم التاريخ - كلية التربية
جامعة الزعيم الأزهرى

د. قسم السيد حمزة احمد برير

المستخلص:

يهدف هذا البحث لإلقاء الضوء على ملامح تاريخ القضارف خلال فترتي الفونج والتركية . وتكمن مشكلة البحث في كون أن تاريخ القضارف رغم أهميتها الاقتصادية لم ينل اهتمام الباحثين وتأتي أهميته من خلال إباطته اللثام عن تطور القضارف ومؤها عبر القرون . اتبع هذا البحث المنهج التاريخي الوصفي التحليلي للوصول لنتائج علمية . واتضح من خلال الدراسة ان القضارف مدينة قديمة ذات تاريخ عريق وثقل اقتصادي وأهمية إستراتيجية . وأوصت الدراسة بضرورة الاهتمام بدراسة تاريخ المدن في السودان وتاريخ القضارف الاقتصادي .

Abstract :

The study aims to a give portrait of history of Gadaref during Funj Sultanate and Turkiyya. The significance of the study lies in the fact that Gadaref, though possesses great economic potential, was neglected by historians . Its importance emerges from the fact that it reveals its development through centuries. The study adopts historical analytic descriptive approach to obtain sound findings. Chief among those findings is that Gadaref was on old city which enjoys economic and strategic importance. The study recommended further studies about the history of Sudanese towns and economic history of Gadaref .

مقدمة :

تعد دراسة المدن والبحث فيها من الدراسات الممتعة رغم الصعوبات التي تكتنفها ولا تقوم المدن بمحض الصدفة أو دون مبررات ، بل في الغالب الأعم نتيجة لتفاعل عوامل تجارية وإدارية وسياسية ودينية ، وترجع نشأة المدن في السودان إلى فترة ما قبل التاريخ⁽¹⁾. إن العامل التجاري هو العامل الأساسي في نشأة مدن السودان يليه العامل الإداري . ويأتي العامل التجاري نتيجة طبيعية لموقع المدينة الجغرافي سواء على ساحل أو طرق قوافل. وقد ظهرت عدة مدن على طريق القوافل . ففي دارفور نجد كوي تقع في نهاية درب الأربعين الذي يربط مصر مع دارفور . وفي الشمال بربر وشندي حيث يوجد طريق يربطهما بسواكن والجزيرة العربية . وظهرت كل من الخرطوم وأم درمان لعامل إداري . وظهر اثر العامل الديني في قيام مدن مثل ود مدني حول قبة الشيخ محمد مدني ، ومدينة الأبيض التي كانت نواتها الاولى من إتباع الطريقة الإسماعيلية ، ووجود عائلة الشيخ أبو صفية في نفس المنطقة⁽²⁾. وقد قامت مدينة القضايف لعوامل إدارية وتجارية. ففي أيام الفونج كانت عاصمة لإقليم اتبرا، كما أنها تقع وسط منطقة زراعية غنية ولذلك أصبحت سوقا تجاريا مهما للمحاصيل الزراعية. وساعدها موقعها الجغرافي الحصين أيضا، من إذ تحيط بها سلسلة من التلال تجعل الدفاع عنها ضد الغارات الخارجية أكثر يسراً. ومما ساعدها على النمو موقعها الجغرافي الذي جعل منها ملتقى للطرق التجارية. ورغم إمكاناتها الاقتصادية الضخمة ، إلا أنها لم تصنف مركزا تجاريا مهما أيام الفونج مثل مدني ، أربجي، شندي وبربر وسواكن⁽³⁾. وخلال التركيبة اكتشف الأتراك والوافدون معهم مميزات الاقتصادية فكان ذلك سببا لاستقرارهم بها . أما في المهديفة فقد اكتسبت أهمية إستراتيجية وإدارية بسبب العلاقات بين المهديفة والحبشة ، كما أصبحت مصدرا أساسيا لتوفير الغذاء لجيش الخليفة.

تسمية القصارف:

لعل من أكبر التحديات التي تواجه الباحثين في تاريخ السودان مسألة أسماء المدن والقرى. ورغم احتفاظ الكثير من المناطق بأسمائها القديمة ذات الطابع النوبي، والتي ترجع إلى فترة ما قبل دخول العرب السودان، إلا أن هناك أسماء مدن ذات طابع عربي ظهرت مع دخول العرب السودان مثل رفاعة والهلالية وغيرها. وبما أن السودانيين أمة شفاهية لا تجيد التوثيق وفي إطار بحثهم المحموم لإثبات عروبتهم من خلال النسب وأسماء البلدان، جرت محاولات لتعريب أسماء المواقع والمدن القديمة. وأحدثت هذه الخطوة خلطاً وخللاً صاحبه بعض السخف في تفسير أسماء المدن السودانية⁽⁴⁾. فقد تم تحوير اسم الخرطوم من اسمها القديم كير التوم، الذي ربما يكون شلكاويًا، والذي يعني التقاء النهرين أو خورين إلى الخرطوم⁽⁵⁾ وينطبق هذا على أم درمان وعطبرة وشندي والتي حاول البعض ربط اسمها بأحد أبناء عبد الله جماع. وبالنسبة للقصارف هناك خلط كبير بين إسم المدينة والمنطقة، ورغم أنه من غير المستبعد ان يكون إسمها إسمًا نوبياً قديماً إلا انه هنالك روايات تحاول إضفاء طابعاً عربياً عليه، استناداً إلى طبوغرافيا وتضاريس المنطقة، فعندما يأتي الزائر إلى مدينة القصارف ويرى من على البعد الهضاب الهشة المحيطة بها في شكل دائري، يهتف قائلاً «القصاريف ظهرن»⁽⁶⁾.

لم يرد إسم القصارف بالنص في وثائق الفونج، رغم ان مدينة القصارف الحالية والتي كانت تعرف بتواوا وقتذاك، كانت عاصمة إدارية لأحد أقاليم السلطنة. وأهم الأقاليم التي ظهر أسماء حكامها وألقابهم في وثائق بلاط الفونج هي البحر، القربين، التاكا وأتبر⁽⁷⁾ ولعل أقدم إشارة إلى اسم القصارف تلك التي أوردها ود ضيف الله ضمن سيرة الشيخ بدوي أبو دليق⁽⁸⁾. فقد روى الشيخ صالح بان النقا وهو أحد أقطاب القادرية في السودان انه سافر مع الشيخ بدوي إلى القصارف⁽⁹⁾ وفي ختام حديثه عن الشيخ بدوي أبو دليق قال صاحب الطبقات (انه توفي سنة ثمانية عشر بعد المائة والألف)⁽¹⁰⁾. ويستشف من هذا الكلام ان القصارف بلدة معروفة قبل وصول القبائل العربية وإسمها نوبياً، فإذا كان الشيخ بدوي الذي زار القصارف في حياته توفي سنة 1118 هـ أي قبل أكثر من ثلاثمائة سنة من الآن، فهذا يعني إنها منطقة قديمة تأسست قبل قيام سلطنة الفونج وربما منذ أيام ممالك السودان القديمة. ومما يثير دهشة المرء ان كل الرحالة الذين زاروا سنار في اواخر القرن السابع عشر وخلال الثامن عشر أمثال ثيودور كرمب البافاري والفرنسي بونسيه لم يشيروا إليها بالمرّة. والاستثناء الوحيد هو الرحالة الاسكتلندي جيمس بروس الذي زارها وأشار إليها باسم تيوا Teawa واستناداً على هذا يبدو ان اسم القصارف كان ينصرف إلى المنطقة كلها ولم يكن اسم موضع معين. ومما يدل على ان القصارف اسما للمنطقة وليس لموقع بعينه كثرة الأسماء في المنطقة مثل تواوا وسوق أبو سن وسرف البوادرة والكنارة وغريقانة وعصار⁽¹¹⁾. وهذا يعني أيضاً أن إسم سوق أبو سن وقضروف سعد أسماء حديثة ظهرت مع التركيبة، لان

الشكرية لم يكن لهم وجود في المنطقة قبل أواخر القرن الثامن عشر، أما سعد القبطي فقد جاء بالقطع مع التركية . ومما يلفت النظر ان القضايف أيام الفونج لم تكن تحكم بواسطة الشكرية ولا الضباينة وإنما جهينة . وتشير المراجع إلى ان وجود الضباينة في منطقة القضايف أسبق من الشكرية مع بعدهم عن العاصمة تواوا ، وإنهم كانوا يهاجمونها بالتحالف مع المور (مسلمي الحبشة⁽¹²⁾). ويبدو أن الشكرية لم يسيطروا نفوذهم على المنطقة إلا في الربع الأخير من القرن الثامن عشر وبعد معركة المندره عام 1779 م.⁽¹³⁾ وتأسيسا على كل ما ذكر آنفا فان اسم القضايف لم يطلق على المدينة بصفة رسمية إلا في التركية .

قدم جيمس بروس وصفاً لتواوا عند مروره بها عام 1772 م في طريقه إلى سنار فقد أشار بنحو غير دقيق ان الشيخ فضيل هو شيخ أتبرا.⁽¹⁴⁾ وقدر عدد السكان بحوالي ألف ومائتين من الاعراب البائسين أما تواوا فقد كانت مقرا للحكومة مما جعلها تتميز بدرجة معينة من التقدير⁽¹⁵⁾ أما مسكن شيخها فضيل حسب وصف جيمس بروس فيتكون من (مجموعة من بيوت مصنوعة من القصب ، بالقرب من الطريق ، عند المدخل ، كانت هناك قاعة كبيرة مبنية من الطوب اللبن ، وكنا نضعد إليها بواسطة أربع او خمس درجات ، وكان في وسطها كرسي خالي يمثل رمز السيادة الذي قدمت له فروض الولاء والطاعة. عبارة عن رسوم جمركية غير محصورة فقط على تواوا او القرن الثامن عشر.⁽¹⁶⁾ .

تجارة القضايف :

تمتعت القضايف بأهمية تجارية ويتضح ذلك من خلال شبكة الطرق التي تربطها بمختلف المناطق داخليا وخارجيا ومن أهم هذه الطرق :

أ/ طريق القضايف - القلابات :

استخدم هذا الطريق بواسطة بعض التجار ورجال البعثات التبشيرية المختلفة الذين يأتون من مصر إضافة إلى أهل الجزيرة وشمال السودان وحجاج السودان الغربي ويتميز هذا الطريق بوجود مجموعة من المدن والقرى ، أهمها مدينة دوكة، التي كانت تعتبر حلقة الوصل بين إقليمي القضايف والقلابات، لأنها تتوسط هذا الطريق، ويقال إنها كانت في السابق مركزاً هاماً من مراكز تجارة الرقيق . ويتميز هذا الطريق بوفرة المياه العذبة في بعض مناطقه مثل راشد وأم فرحة .

ب/ طريق سنار - بيلا - القضايف - القلابات :

يبدأ بعد عبور النيل الأزرق من سنار ثم يتجه شرقاً حتى نهر الدندر، ثم نهر الرهد، ثم يتجه شرقاً إلى بيلا ومنها إلى القضايف، وهو الطريق الذي سلكه جيمس بروس عند عودته من الحبشة إلى سنار . وأشار إلى قلة مائه بين القضايف وبيلا⁽¹⁷⁾.
كان تجار القضايف يمدون سوق القلابات بالخيول والذهب والجبن والعسل والشمع .

ومن ناحية ثانية فان تجار سنار كانوا يسافرون إلى القلابات عبر الصحراء تحاشياً لحاكم منطقة القضارف ، وخوفاً من بعض القبائل وقطاع الطرق ، « الشففة » نسبة لان حاكم أتبرا كان يمارس عمليات سلب ونهب على حساب أولئك التجار⁽¹⁸⁾. وقد تعرض جيمس بروس لابتنزاز حاكم أتبرا (تواوا) فضيل الذي طلب منه خمسين أوقيه من الذهب. ورفض بروس هذا الطلب فحاول فضيل قتله بالسيف ولم ينقذه من هذه المؤامرة إلا سلاحه الناري الذي كان يدهسه وسط أكمامه⁽¹⁹⁾.

القضارف في التركيبة :

بسط الأتراك نفوذهم على القضارف ، وعلى العكس من جارتها كسلا، بسهولة ودون مقاومة تذكر. ففي أيام الغزو الاولي وبعد تعيين عثمان بك جركس البرنجي والياً على السودان، فرض على المواطنين ضرائب باهظة دفعت البعض منهم للهجرة إلى القضارف 1824 - 1825 . فما كان من عثمان بك جركس الذي اشتهر بالقسوة وسفك الدماء إلا ان أرسل خلفهم ابراهيم أفندي فقتل منهم خلقاً كثيراً⁽²⁰⁾.

خلف عثمان باشا جركس بعد وفاته محو بك الاورفلي مدير بربر حاكماً على السودان . وصادف تعيينه حاكماً لمجاعة بالجزيرة ، فذهب إلى القضارف وأرسل منها الذرة إلى المناطق المتأثرة بالمجاعة. وفي عام 1830 ضم خورشيد باشا أول حكمدار للسودان القلابات وحصنها وأقام فيها حامية عسكرية⁽²¹⁾ وفي عام 1837 غزا احمد كاشف حاكم القضارف وراشد أطراف الحبشة فغنم وسبى وأرسل السبايا إلى الخرطوم⁽²²⁾ .

اكتشف الغزاة الجدد وأتباعهم منذ البداية إمكانيات القضارف الاقتصادية. وشجعهم مناخها وكثرة أمطارها على التوسع الزراعي. فالأمطار في هذه المنطقة تصلح لزراعة السمسم والقطن والذرة الذي يمثل الغذاء الرئيسي لسكان السودان⁽²³⁾.

شجع مناخ القضارف الوافدين على إدخال أنواع جديدة من المحاصيل مثل الفواكه والتبناك . وكان التجار الإغريق يقومون بزراعة التبناك طوال فترة التركيبة ، بل ان بعضهم أقام مصنعا للسجائر⁽²⁴⁾ وقد وصل إنتاج التبناك السنوي ألف وخمسمائة ورقة .⁽²⁵⁾ لكل هذا أصبحت القضارف منطقة جاذبة وملتقي تجاري مهم ، يفد إليها التجار من داخل السودان وخارجه من بلاد مثل مصر والحجاز والهند والحبشة وأحياناً من أوروبا. واشتهرت القضارف بجانب الزراعة بالتجارة في ريش النعام وقامت بها بعض الصناعات الخفيفة مثل صناعة الصابون والسجائر. وقد بلغت الضرائب السنوية على التبناك مائة ألف ريال كانت تذهب كلها لخزينة الدولة.⁽²⁶⁾ وتعكس هذه الأرقام ثراء القضارف وقدراتها الاقتصادية الضخمة. لهذه الاعتبارات وجدت القضارف اهتماماً وعناية فائقة من الحكام الأتراك فأمدوها ببوستة منتظمة مع الخرطوم⁽²⁷⁾. خلال التركيبة زار القضارف العديد من الرحالة أمثال هوسكنز وهيوجلين والمكتشف صمويل بيكر. وقدم صمويل بيكر الذي جاء إلى السودان أصلاً بغرض الصيد ، وأطلق عليها اسم القضارف ، وصفاً ممتعاً لسوقها . وذكر ان (هناك شارعاً مفتوحاً مسقوفاً بالقش ، وارتفاعه ستة

إقدام ، وكان التجار يعرضون بضائعهم أمام ذلك الشارع ، وكان من بين تلك البضائع الأقمشة القطنية التي يجلبها التجار اليونانيون ، والسيوف والمبارد والأمواس ، وأدوات معدنية أخرى ألمانية الصنع ، ومعظمها لا قيمة به⁽²⁸⁾. ومما لفت نظره كثرة الأكشاك التي خصصت للشطة والخرز والعتور. ومن أهم السلع الأخرى المعروضة الزبد والسمن والحبال والسجاد والحقائب الجلدية والقرب. ولاحظ بيكر أيضا وجود حدادين متجولين يبيعون السكاكين ويصلحون الحراب. ومن أغرب ما أشار إليه وفي ظاهرة لم نعهدها كثيراً في السودان وجود راوي قصص محترف يمسك جملاً من مقوده خالفاً جلبه وضجيجا من الضحك بنكاته⁽²⁹⁾. وذكر بيكر أيضا وجود سوق للمواشي بالقضايف يتردد عليه العرب والتكاريير والأحباش⁽³⁰⁾. وعند اندلاع الثورة المهديّة ركزت الحكومة التركيّة مجهوداتها العسكريّة في غرب السودان باعتباره معقل الثورة. وترتب على ذلك ضعف الاهتمام بالمناطق الأخرى وبخاصة منطقة القضايف القلابات. وكان بالقضايف عند اندلاع الثورة مائتا جندي نظامي وأوردي من الباشبوزوق المغاربة بقيادة محمد باشا أغا . وكان محمد عوض الكريم أبو سن مأمورا عليها . ونقل إليها بلوك من القلابات ولكنه سرعان ما حول إلى عصار لتدعيم موقفها . وفي أبريل 1884 استسلمت القضايف لمبعوث المهدي الحسين عبد الواحد نور الدائم دون مقاومة نسبة لضعف حاميتها وبعدها عن مراكز الحكومة الهامة ومعاونة القبائل المحليّة وأهمها الشكرية وعين المهدي عبد الله احمد أبو سن عاملا عليها⁽³¹⁾.

الخاتمة :

جاءت هذه الدراسة كمحاولة لإلقاء الضوء على تاريخ مدينة القضايف خلال فترتي الفونج والتركيّة ، واتضح من خلالها ان القضايف مدينة عريقة ومهمة ولها تاريخ ضارب الجذور في القدم ، ربما منذ أيام الممالك السودانية القديمة كما إنها تتمتع بإمكانيات اقتصادية ضخمة . وخلال سلطنة الفونج كانت عاصمة إدارية لأحد أقاليمها وملتقي تجارها هاما . وتبين لنا من خلال الدراسة ان اسم القضايف لم يكن يطلق على المدينة الحالية وإنما على المنطقة كلها ، ولم يظهر اسم القضايف بصفة رسمية إلا خلال التركيّة. وفي التركيّة اكتشف الأتراك والوافدون الأجانب ثراءها الاقتصادي فاستقروا بها كما أدخلوا بها زراعة المحاصيل الجديدة مثل الفواكه والتبناك وأقاموا بها بعض الصناعات الخفيفة.

نتائج الدراسة :

1. أثبتت الدراسة ان القضايف مدينة عريقة ومعروفة عبر القرون .
2. لعب العامل الاقتصادي دورا مهما في تطور ونمو مدينة القضايف.
3. لم تعرف القضايف باسهما الحالي إلا خلال التركيّة.
4. للقضايف أهمية إستراتيجية كبرى نسبة لقربها من الجارة إثيوبيا.

التوصيات :

- 1- ضرورة الاهتمام بتاريخ المدن في السودان .
- 2- إجراء المزيد من الدراسات حول تاريخ القضايف القديم والحديث.
- 3- الاهتمام بتاريخ القضايف الاقتصادي والإفادة منه في التبادل التجاري مع دول الجوار.

الهوامش:

- (1) Sudan Notes and Records , Volume 52 , Khartoum 1971 p.63.
- (2) خديجة عثمان زروق ، تاريخ مدينة كسلا في العهد الثنائي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الخرطوم ، 1971 م ، الصفحات من 16 - 21 .
- (3) Sudan Notes and Records op- CIT p.65.
- (4) محمد ابراهيم أبو سليم ، تاريخ الخرطوم ، بيروت ، دار الجيل ، الطبعة الثالثة ، 1991 م ، ص6
- (5) المرجع السابق ، ص 7
- (6) التهامي عبد الله سليمان ، القصارف تاريخ ومجد وسؤدد ، الخرطوم ، دار فأس للنشر ، الطبعة الثانية ، 2015 م ، ص 20
- (7) جاي سبولدنق ، عصر البطولة في سنار ، تعريب احمد المعتصم الشيخ، الخرطوم ،هيئة الخرطوم للصحافة والنشر ، الطبعة الثانية 2014 م ص 74
- (8) محمد النور بن ضيف الله ، كتاب الطبقات في خصوص الأولياء الصالحين والعلماء والشعراء في السودان ، تحقيق يوسف فضل حسن ، الخرطوم ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، الطبعة الثالثة ، 1985 م ، ص116.
- (9) المصدر السابق ، ص 116
- (10) المصدر السابق ، ص 123
- (11) أو . جي . إس كروفورد ، مملكة الفونج الاسلامية ، ترجمة البشير الصادق البشير ، الخرطوم شركة مطابع السودان للعملة المحدودة ، الطبعة الاولى ، 2017 م ، ص 147.
- (21) المرجع السابق ، ص 148
- (31) المرجع السابق ، ص 147
- (14) المرجع السابق ، ص 147
- (15) المرجع السابق ، ص 148
- (16) المرجع السابق ، ص 414
- (17) محمد المصطفى أبو القاسم إسماعيل ، هجرات التكاير واستيطانهم ببلاد السودان الشرقي فيما قبل القرن العشرين مشيخة تكاير القلابات، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الخرطوم ، 1990 م ، ص 71
- (18) المرجع السابق ، ص 90
- (19) أو جي . إس . كروفورد ، مرجع سابق ، ص 414
- (20) نعوم شقير ، تاريخ السودان ، تحقيق ابراهيم أبو سليم ، بيروت ، دار الجيل ، طبعة جديدة 1981 م ، ص 213

- (12) المصدر السابق ، ص 216
- (22) المصدر نفسه ص 219 .
- (23) محمد سعيد القدال ، المهديّة والحبشة ، دراسة في السيادة الداخلية والخارجية للدولة المهديّة 1881 - 1898 ، بيروت ، دار الجيل ، الطبعة الأولى ، 1992 م ، ص 9
- (24) المرجع السابق ، ص 9
- (25) المرجع نفسه ص 10
- (62) المرجع نفسه ص 14
- (72) المرجع نفسه ، ص 14
- (28) او جي . إس . كروفورد ، مرجع سابق ، ص 148
- (29) المرجع نفسه ، ص 148
- (03) المرجع نفسه ص 148
- (31) محمد سعيد القدال ، مرجع سابق ص 25.